رواية
اللِّصّ والذِئاب
سيد أحمد آمين

اللص والذئاب

سيد أحمد آمين

اسم الكتاب/ اللص والذئاب

اسم المؤلف/ سيد أحمد آمين

سنة النشر/ ٢٠٢١

مصممة الغلاف/ أميرة محمود

تنسيق/ أميرة محمود

الجهة الناشرة/ دار تُراث للنشر الإلكتروني

مدير عام الدار/ المهندسة أميرة محمود فتحي

رئيس مجلس إدارة الدار/ عبد الرحمٰن محمد

دار تُراث للنشر الإلكتروني

Website/https://torathbookstore.blogspot.com/

إهداء

أهدي هذا العمل لكل من ساهم ولو بالشيء القليل ليعلمني ولو كلمة، إلى كل من شجعني ووقف خلفي وساندني أهدي له هذا العمل.

الفصل الأول

يطل هذا الرجل في شرفة ذلك القصر الكبير الذي تحيط به الكلاب من كل مكان والتي لا يضع لها أي طعام أو شراب مع كثرة ما يأخذه هذا الرجل من الناس عنوة كل يوم من مال وثروات وكنوز تنوء من حملها الجبال ، وأصوات الحراس الذين يقفون من حوله في كل مكان هنا وهناك فهي شبيهة بأصوات الأفاعي ، ولا يعرفون الرحمة ولا الإنسانية فقد نزعوا قلوبهم ووضعوا مكانها قلوب الشياطين ، فنظر هذا الرجل الملقب "بحمدان الذئب" على الناس المارة من أمام قصره الكبير ثم قال في نفسه:

لو أني يوماً من الأيام ملكت هؤلاء الناس لفعلت بهم ما أجعلهم تحت قدمي هذه فكم كانوا معي في صغري أشد بأساً وظلماً لي، فقد كان الصبية الصغار يضربونني ويفعلون بي كل شيء دون رحمة فقد كنت من أجبن وأضعف الناس حين كنت في صغري وكان الأطفال يسخرون مني ويستهزئون بي

لقصر قامتي ولأني كنت أتلعثم في الكلام وقد كنت لا أقدر أن أدافع عن نفسي فكم ُضربت من كل الصبية الذين كانوا في نفس عمري وفي هذا الشارع الذي كنت أقطن فيه فقد عانيت من ظلمهم لي وقسوتهم علي ، وسوف أنتقم من كل هؤلاء الناس يوماً من الأيام حتي بعدما أصبحت من هؤلاء الذين يملكون زمام الأمور، فلا أُحترم من رؤسائي ولا من هؤلاء الذين ينصّبون أنفسهم في مناصب كبيرة فها هو هذا الرجل المتغطرس الذي يظن نفسه أكبر مني وأعظم مني يسبني ويذلني ويلقبني بأسوأ الألقاب، وهذا كله بسبب أني أخذت ورقة مقطوعة وقد قبضها بيده القذرة ولم يضعها في القمامة فوضعتها، فلما دخل ونظر على مكتبه فلم يجد هذه الورقة فنظر في وجوهنا ، وقال:

من أخذ هذه الورقة من على مكتبي؟

فلم أرد عليه ولم ينطق أي أحد منا ، فقال من الحمار الذي أخذ الورقة من على المكتب؟

فلم أنطق ولم أستطع الجواب، فقال من الحمار بن الحمار الذي أخذ الورقة من علي مكتبي؟

فاغتظت وغضبت ولكني أجبن من أن أرد عليه ، فالخوف والهلع يطاردني دوماً فالذي فعله الأطفال بي في صغري جعلني أشب على الجبن حتى بعدما أمسكت السلاح وركبت الطائرات ولكنني لا أستطع أن أصمد أمام رجل يرفع صوته أو أرى فيه منظر الرجولة ففد كنت أبول في ملابسي عندما كانت أمي تضربني وأهتز عندما يوجه أي أحد لي كلمة تخوفني ، ولكنني الآن يحوطني الحراس والسلاح ومن يحمونني.

- وبينما ينظر من شرفة القصر إذا بكلب كبير تفلت من عقاله وأمسك بقدم حمدان وأخذ يصرخ حمدان:

آه قدمي؛ آه؛ آه، واستيقظ من نومه وقد فزع من هذا الكلب الكبير وكأن قدمه ما زالت بين أنياب الكلب، فأسرعت أمه نحوه وهو يصرخ قائلة له:

أنت هكذا دوماً تأتي بالقلق والإزعاج ولا يأتي وجهك هذا إلا بالسوء فأنت قد جئت الدنيا ومعك الخراب والحزن، فقد مات أبوك عندما ولدت وهزمنا في حرب النكسة بوجهك هذا البغيض، فلم يؤثر فيه هذا الكلام وكأنه قطعة ثلج أو حجر لا يحس ولا يشعر، وأخذ يضحك مثل قرد له عدة ذيول وقرون.

-فقد شبَّ حمدان في منزل قد أفعمته الوحشية وحب الذات بينه وبين إخوته (دسوقي وعباس)، فقد كانوا دائماً يتشاجرون مع بعضهم لأتفه الأسباب فهم يبغضون بعضهم بغضاً شديداً، فإخوته أكبر منه ولكنهم لا يحبونه لأنهم من أم وهو من أم أخرى، واشتد الصراع بينهم وبغضهم لهذا الولد حتى وضعوه في ملجأ للأيتام بعدما تزوجت أمه من رجل يعمل في مصنع للسكر، - قضى حمدان طفولته بين أطفال لا أمٌ لهم ولا أب ولا أسرة تأدبهم وترعاهم، فظل بلا أحد يحبه هكذا وهو لا يبالي فقد انعدم الإحساس والشعور لديه من كثرة ما لاقاه من تفكك أسري، فأمه تحب نفسها وإخوته لا يحبون بعضهم ولا يحبون إلا أنفسهم.

-كبر حمدان ذلكم الطفل الشقي البغيض بعدما لاقى الأمرين في هذا الملجأ من ضرب وسب وتحرش جنسي وإيذاء في كل شيء وهذا كله قد شيّد في نفسه البغض وحب الانتقام من المجتمع كله، فخرج حمدان الى الشارع كالكلب المسعور يسرق ويضرب؛ ويقتل حتى كونَّ مجموعة من المجرمين المارقين والخارجين عن القانون وبين الحين والآخر يحلم

بهذا الحلم المزعج وكأنه في وضح النهار، فقد كوّن في عصابته بعض الرجال الذين عاشوا في نفس البيئة القذرة.

الفصل الثاني

-نشبت نيران هؤلاء الخارجين المجرمين لتطَل الأخضر واليابس ، فحرق؛ وقتل ونهب؛ وسرقة بالإكراه في كل يوم، وفي يوم من الأيام وهم يجلسون ليلاً قال لهم حمدان:

سنسطو غداً على منزل هذا الرجل الذي يدعى دسوقي الحلواني وهذا الرجل هو أخو حمدان الأكبر، فحمدان يدعى حمدان الحلواني، فقال أحد أتباعه ويسمى عماد البربري:

أتقصد دسوقي صاحب محل العطارة الذي في الشارع المجاور؟

فقال له حمدان وهو يدخن سيجارته:

نعم إنه هو؛ فقال عصام القط ثالثهما:

ولماذا لا نسطو على محل العطارة بدلاً من المنزل؟

فقال له حمدان:

يا غبي وماذا سنجد في محل العطارة سوى أشياء العطارة ومحتويات المحل من عبوات قد ملأت بما يبيعه من بضاعة، فهذا الرجل يضع كل ماله في بيته، فقال رابعهم:

هذا الذي يلقبونه بسمير العنتيل:

وكيف عرفت يا حمدان أن هذا الرجل يملك في منزله المال أو أي شيء آخر؟

فقال حمدان في ثقة بنفسه:

لأني كنت أعرفه قبل دخولي الملجأ وقد ألحق بي الأذى و الضرر ولابد أن آخذ منه ما يسعدنا نحن ويشقيه هو، فهذا الرجل أبخل من رأيت في حياتي.

-أخذ كلهم يشربون المسكرات وقد أتوا بامرأة مومسة ترقص لهم ويقضون معها ليلتهم في ظلمة الشهوة وفي محراب الشيطان وهم يضحكون ويمزحون بلا عقل أو وعيٍ يذكر وفي المقابل كان هناك أحد الضباط الذين تربوا في بيوت قوية عريقة ويبحث عن هؤلاء الفتية الذين خربوا وعاثوا فساداً في كل الأرجاء وأخذ يتعقبهم ويسأل عنهم هنا وهناك وكلما وقعت جريمة ذهب الضابط لموقع الجريمة ليجد بعض الخيوط

ليسير عليها فلا يستطيع ولكنه لم يمل وكان هذا الضابط يدعى "محمد العسال" وكان من الضباط الذين هم محل فخر للجميع وقد أحب فتاة من تلك الأحياء الشعبية مع إنه يسكن في مصر الجديدة وهي من الوراق وتعمل في بنك من البنوك، وبين الفينة والفينة يقابلها في أحد الأماكن العامة ويجلسان مع بعضهما يتجاذبان أطراف الحديث ، فقال لها محمد:

ياعبير لابد أن نجد شقة حتي أتقدم لخطبتك فأنا الآن لا أتجرأ ان آتي الى منزلكم وأنا لا أملك شقة ولا أي شيء سوى راتبي فقط ، فقالت له عبير وهي تبتسم:

أنا أحبك يا محمد ولا بد أن تأتي لتتقدم لخطبتي من أبي فأنا كل مرة أقابلك فيها ترتعد فرائسي خشية أن يراني أي أحد من أهلي وأنا معك فقال محمد وقد ارتسمت على وجهه علامات السخط:

والله ياعبير إن هناك الكثير من القضايا التي تشغلني وتشغل الرأي العام ، فقالت له عبير وقد بدا عليها الحنق:

أتقصد هؤلاء اللصوص وما يفعلونه من قتل ونهب وغير ذلك؟

فقال لها محمد:

نعم إنها هذه القضية، فلا تعرف عبير أن خالها هو حمدان ولكن لا تعرفه ولا يعرفها حتى إنه لا يعرف أي شيء عن أمه ولا يحاول أن يراها فهو ينقم عليها ولو رءاها ما اهتم لرؤيتها، وتأتي مكالمة لمحمد من رؤسائه ويقوم ومعه عبير ليذهب إلي عمله ويترك عبير ويمضي وتأتيه بعض الأخبار أن هؤلاء الأوغاد سيسرقون الليلة في مكان ما ولكن هذا الذي أخبرهم إنما فعل هذا ليضللهم وليفعلوا ما يريدونه فهم في منتهى الدهاء والمكر فلا يُحرِّمون أي شيء حتى ولو قتلوا آبائهم وأولادهم فهم لا يعرفون سوى أنفسهم وفقط، فأسرع الضابط محمد ومعه بعض رجال الشرطة من أمناء شرطة وجنود ليضبطوهم وهم علي ما هم فيه ، ثم تحرك الضابط محمد ومعه هؤلاء الرجال من قوات الشرطة واتخذوا مواقعهم في السيارات والشارع، ولكن حمدان لن يأتي فقد ذهب إلى بيت أخيه الأكبر ليسرقه، فقد ذهب حمدان هو وعصابته ومعهم السلاح وما يلزمهم من أدوات وفي الساعة الثانية بعد منتصف الليل سطوا على المنزل ودخلوه بكل سهولة ويسر، وفي ظلمة الليل البهيم وفي النور الخافت قد

تسللوا داخل الغرف ليبحثوا عن مكان المال وما داخله من مدخرات ولكن المنزل يحوي هذا الرجل وزوجته وأولاده وليس بالمكان الخاوي فسمع دسوقي صاحب المنزل بأصوات في المنزل فقام من نومه فزعاً ونزل إلى الطابق الأسفل وأخذ يبحث في المنزل عن هذه الجلبة والصوت ولكنه لم يكن بالسرعة الكافية، فقد سبقه عصام القط وضربه على رأسه بمسدسه فخر على الأرض والدماء تسيل منه مثل الغيث في الشتاء، ونظر إليه حمدان نظرة طويلة وكأنه ليس بأخيه ولم يعتب على عصام فيما فعله وتركوه وصعدوا إلى أعلى بينما تنام زوجته وأولاده في هذا الطابق ، فاستيقظت الزوجة لترى هؤلاء الأوغاد في الغرفة وهم يفتحون الخزينة ، فصرخت مستنجدة ولكنهم لم يتركوا لها فرصة للصراخ ورموها بعدة طلقات هي وأولادها دون رحمة أو أدنى شفقة ولم يعبئوا بمنظر الجثث وهي ملقاة على الفراش بل أخذوا يجمعون ما في الخزينة من مال وذهب دون أي شعور أو إنسانية وقبل أن يذهبوا أخذوا يبحثون في الغرفة عن أي شيء ينفعهم أو يدينهم ونظر حمدان إلي زوجة أخيه وأولادهما نظرة طالت، ثم نزلوا من هذا الطابق إلى الطابق الأسفل، ولم يهتم حمدان

بما حدث ليضع يده على دسوقي ليتفقده حتى يستيقن منه؛ هل مات أم لا، ولكن حمدان وجده قد فارق الحياة، فذهب حمدان هو ومن معه خارج المنزل وهم يقولون له:

هيا ، لما تتلكأُ هكذا؟

فنظر حمدان لمن معه وكأنه يقول لهم:

إنه أخي؛ أريد أن أودعه؛ أريد أن أراه وهو يفارق الحياة، فكم حرمني من كل لحظة حياة، ثن تبعهم حمدان دون أن يتكلم ببنت كلمة،

وركبوا سيارتهم وانصرفوا وقد خلفوا وراءهم إبادة لأسرة كاملة والخراب والدمار لتلك الأسرة، فكم كانت تلك الأسرة سعيدة، ناهيك عما فعله رب البيت، فالله هو الذي يحاسب الناس ويثيبهم أو يعاقبهم فقد كانوا في نومهم مطمئنين وعلى فراشهم يحلمون وعلى ابتسامتهم وضحكهم وفرحهم ينامون وهم في سرور وسعادة فجاءت تلك الحيوانات الشرسة والله إني لأظلم الحيوانات عندما أشبها بهؤلاء الأوغاد ، فسلبوا منهم السعادة والحلم وهدموا كل الأماني لديهم وجنوا على

أسرة كاملة ليقطعوا دابرها فما كان ذنبهم وأيُّ ذنب فعلوه حتى يجنى عليهم هكذا؟

هل لأنهم كانوا أقرباء هذا الذئب الآدمي؟

فجاء لينتقم لذاته ومن أخيه فمحوا أسرة كاملة من الوجود ليضعوهم تحت التراب وفي ذاكرة النسيان وفي غياهب القبور، والله لأشد أنواع الظلم أن يقتل الإنسان أخيه الإنسان ولا سيّما لو القتل كان خيانة وغدراً وبأقسى أنواع السلاح ، فلقد هزت هذه الحادثة المجتمع المصري وأثرت في قلوب الناس وتناولها الناس بكل أسى وحزن.

-ذهب الضابط محمد ومعه الكثير من الضباط وممثلي القانون إلى موقع الحادث ثم نظر الضابط الذي يرأس هؤلاء الضباط إلى محمد وقال له وهو يحدق فيه:

أين كنت بالأمس؟

ومن أبلغك بهذا المكان؟

فقال الضابط محمد في تعجب:

الذي أبلغنا بهذا كله" فؤاد بك" ، فنظر هذا المسؤول إلى "فؤاد بك" وقال له من يا حضرة العقيد الذي أبلغك بالمعلومات؟

فقال علي الفور ، لقد اتصل بنا أحد الأشخاص الذين نثق بهم وأبلغنا بكل المعلومات ولكننا لم نجد أي شيء مما حدثنا به وتمت الجريمة في مكان آخر ، فقال هذا المسؤول:

هذا الشخص ضللنا يا سادة ، أنا أريد أن أرى هذا الرجل فأحضروه الآن.

فقال فؤاد وقد تغير لون وجهه:

سنأتي به يا سيدي الآن، هيا يا محمد تحرك وأحضر هذا الرجل ، فقال محمد وهو يرفع يده حذو رأسه "يحييه":

تمام يا فندم ، ثم انصرف، وفي السيارة اتصلت به عبير فرد عليها محمد قائلاً لها:

كيف حالك؟

فقالت له عبير:

بخير والحمد لله، ثم اخذت تبكي بكاءً حاراً ولا تستطع الكلام من البكاء ، فقال لها محمد:

لماذا تبكين هكذا؟

ماذا حدث يا عبير؟

فقالت وهي تبكي كما يبكي الطفل:

لقد قتل خالي وزوجته وأولادهما بالأمس؟

فقال لها الضابط محمد وقد أخفض صوته:

وهل الذي مات بالأمس خالك وزوجته وأولادهما؟

هل هم أقاربك؟

فقالت وقد اشتد نحيبها؟

نعم، إنه خالي ، فقال لها محمد لم أكن أعرف، البقاء لله ، فلقد شاهدت المنظر ونتابع القضية عن قرب وإن شاء الله سنعثر على من قتلوا خالك وهؤلاء الأبرياء إن شاء الله وسيأخذون عقابهم وما يستحقون، هيا سوف أكلمك فيما بعد لأني الآن في مهمة ولابد أن أتفرغ لذلك وسوف أزوركم الليلة ،فقالت له عبير:

على كما يحلو لك، تصحبك السلامة ،

-أتى الضابط محمد بهذا الرجل وأخذوا يستجوبونه، فقال لهم:

أنا بالفعل سمعت هذا من أحدهم ، فنظروا لبعضهم وقال المسؤول:

آه، لقد عرفوك، ثم قال أحدهم:

إن هذا المخبر قد حرق فقد عرفوا أنه من المخبرين لدينا فهيا انقلوه من هذا المكان وليأتي آخر في مكانه.

-استيقظ حمدان بعدما قسّموا ما أخذوه بينهم وكأنه كان في نزهة خلوية وقد لعب فيها واستمتع فلا هو الحزين أو المتأثر، فلقد ملك بين أضلعه قلب حيوان مثل الذئب أو مثل كلب مسعور فلا الدماء تحركه، ولا الموت يفجعه، ولا الدموع تهزه،

-اتصل حمدان برفاقه ليأتوا له ، وفي المساء يحلو لهم ممارسة الزنا والخنا ومعاقرة الخمور والمخدرات، ثم أتى كل رفاقه وفي لهوهم وسكرهم يتفقون على خطف طفل لأب ثري حتى يساوموه على المال ، فقال عماد البربري:

يا ذئب ليس الآن فالذي فعلناه بالأمس لم يمضي عليه إلا الساعات اليسيرة فلابد أن نتريّث بعض الوقت ، فقال حمدان وقد تغيرت ملامحه النكراء:

أنا لا أدع الوقت يمر سدى، فكم ضيعنا من وقت ومن ثم ضيعنا أعمارنا في الملجأ والإصلاحية ومع من عذبونا وألقونا في غياهب الشوارع والأماكن القذرة ، فقاطعه القط وقال له:

أين هذا الطفل الذي تريد خطفه؟

وأين يقطن حتى نذهب له فنحن نتعطش لمثل هذا؟

فقام حمدان وأخذ يطقطق أصابعه وقال:

إن هذا الطفل هو بن عباس الحلواني صاحب معرض السيارات الذي في "المهندسين" ، فتعجبوا كلهم وقالوا:

يا ذئب هل هذه صدفة أن يكون هذا الذي سرقناه وقتلناه يسمى دسوقي الحلواني وهذا عباس الحلواني وأنت حمدان الحلواني؟

فنظر إليه البربري وهو يضحك ثم قال:

هل عباس ودسوقي إخوتك الذين حدثتنا عنهم وعن ظلمهم لك؟

فقال حمدان في تجهم وقد كشر عن أنيابه وقام من مكانه:

لا أسمح لأحد أن يناقشني مرة أخرى في تفاصيل أي عملية نعملها أو أي اسم من الأسماء ، ثم انصرف نحو فتاة كان يضاجعها كل ليلة من فتيات الليل وقال لهم:

سوف نتقابل عصراً في الغد وتركهم ومضى.

- ينفق حمدان كل ما يأخذه على تلك الراقصة الغانية كل ليلة ويأتي لها بالذهب والملابس وأنواع الفرش ومختلف الطعام والشراب وكان يعشقها ولكنه عِشقُ الغريزة لا عِشقُ الحبيب لمحبوبته ، أما عباس الحلواني وزوجته وأم عبير فقد عاشوا في حزن وألم على فراق فقيدهم ، وتوالت التحقيقات معهم من الضباط ووكلاء النيابة عن عداوة دسوقي لأي أحد أو ما هي الدوافع التي تجعل مجرماً يسرق ويقتل كل من في المنزل من أطفال وزوجة ورب بيت، ولكن عبير كانت أشدهم حزناً عليهم، لأنها على علاقة بالضابط محمد الذي يتابع هذه القضية فهي حزينة على خالها وقلقة على محبوبها ، ولم

يترك الضابط محمد عزاء عبير وكلاً من أبويهاً رغم ما لاقاه من سهر وما هو فيه من تعب وشغل فلا يوجد أي شيء يقعسه عن أداء الواجب مهما كان مع إنه ما زال نقيباً في الشرطة إلا إنه لم يخطئ في مهمة قط مما جعله اليد اليمنى لمديره في العمل وقد لفت نظر أبوي عبير وسألاها عن هذا الضابط من هو؟

ولماذا لم نتعرف عليه في السابق؟

فقالت لهم عبير وقد غضت طرفها :

لم تأتي فرصة لذلك وها هي سنحت الفرصة وعرفتموه ، فقال لها الأب:

خيراً إن شاء الله .

-لم ينسى الناس ما حدث البارحة حتى استيقظ الناس على خبر جديد وفاجعة أخرى والتي ظهرت في بدايتها على أنها جريمة وهناك من هو خلف هذه الجرائم ، فلقد قام حمدان في العصر هو وهؤلاء الأوغاد بخطف هذا الطفل الذي تكلموا عنه البارحة وهو بن عباس الحلواني أي بن أخيه وعمه دسوقي الذي قتل.

الفصل الثالث

نزلت الفاجعة على هؤلاء الناس مثل صاعقة مدويّة على قلوبهم فأخذ يبحث عباس وزوجته وكل من يعرفهم هنا وهناك ولكن بدون جدوى فاتصل بهم حمدان الذئب وقد استخدم أحد أتباعه في الحديث فقال لهم :

لو كنتم تبحثون عن هذا الصبي فهو عندنا ، فصرخ الأب في وجهه وقال:

ومن أنت؟ وماذا صنعتم به؟

لو لم تأت به لأقتلنك ، فقال له :

اهدأ لو أردت أن تراه ثانية فلا تفعل فعل الصبيان ولا تخبر الشرطة أما إذا أردت أن ترى ابنكم وقد ذبح أو قطع لقطع صغيرة فافعلوا ما شئتم ، فقال له الأب وماذا تطلبون؟

فقال له هذا الرجل :

نريد نصف مليون من الجنيهات ، فقال له الأب:

ماذا تقول؟

-لم يرد عليه هذا الرجل وأغلق الاتصال بينه وبين عباس وأخذت الأم تنظر إلى زوجها وتسأله ماذا حدث؟ أين ابني؟

ماذا فعلوا به؟ وانهمرت بالبكاء فضمها عباس إلى صدره وقال لها:

لا تقلقي سوف نستعيده إن شاء الله ، وتوالى الناس عليهم وعلى المنزل من أقارب وأصدقاء وجيران ليقفوا بجوارهم وعلمت عبير بخطف بن خالها ولم تقف مكتفة الأيدي أو لتشاهد عن بعد بل أخبرت الضابط محمد بما حدث وقالت له:

إنهم لا يريدون أن يخبروا الشرطة حتى لا يتأذى الصبي أو يقتلوه ، فقال لها الضابط محمد:

لا تقلقي سوف نتحرك دون أن نلحق به أذىً ولم ينتظر الضابط محمد إلى بعد ذلك بل اتصل بعباس وقال له:

عليك أن تأتي معك الزوجة في منزل عبير حتى لا يعرف الذين فعلوا ذلك ما ننوي فعله ، فقال له عباس:

وكيف عرفت؟

أنا لا أريد أن يعرف أي أحد حتي لا يقتلوا ولدي؟

فقال له محمد:

لا يهم ولكن تعالى سنتقابل في بيت عبير أي في بيت أختك ، فلا أنتم الذين أتيتم قسم الشرطة فيرتابوا لذلك ولا أنا الذي أتيت منزلكم ، فأعجب عباس برأيه وقال له:

وهو كذلك فبعد ساعة سنكون هناك ، وقبل أن ينصرف عباس اتصلوا به اللصوص وقالوا له موعدنا غداً الساعة الثالثة عصراً لو لم تحضر ومعك ما طلبناه سيكون آخر يوم في عمر الولد ثم أغلق الاتصال ، وأخذت عباس حيرةً من أمره ماذا يفعل؟

ولكنه لم يمانع من أن يذهب لمقابلة الضابط محمد ، وقبل أن يذهب عباس إلى بيت أخته وصل الضابط محمد في وقت قصير وقد تخفى في لباس عامل النظافة حتى لا يعرفه أي أحد من هؤلاء اللصوص فطرق الباب ففتحت له عبير ولكنها لم تعرفه في بادئ الأمر وقالت له:

لا توجد قمامة عندنا ، فقال لها محمد:

أنا الضابط محمد ، فقالت له وما هذا الذي ترتديه؟

لماذا تفعل في نفسك هذا؟

فقال لها:

حتي لا يعرفني اللصوص ، فنادى والدها عليها:

من بالباب يا عبير؟

فقالت عبير:

إنه الضابط محمد ، فخرج الوالد مسرعاً وصافحه وقال له هيا ادخل فدخل إلى غرفة الجلوس وبعدها طرق الباب عباس ففتحوا له وجلس هو وزوجته والدموع تفعم عيني زوجته ولا تجف لها دمعة ، فقال لهم الضابط محمد :

كفى ، نريد أن نتحدث في ما يهمنا ، يا حاج عباس عندما خطف ابنك كم كانت الساعة وقتها؟

فقال عباس وهو ينظر لأعلى:

كانت الساعة الخامسة بعد العصر؛ فقال له الضابط محمد:

وكيف خطف؟

هز عباس رأسه وقال:

لقد كان يلعب خارج المنزل كالعادة مع أقرانه من الصبية ،فنظر له الضابط محمد في حدة وقال له:

وكيف عرفتم أنه خطف؟

فقال له عباس:

لما نظرنا إلى الخارج ولم نجده فسألنا عنه الصبية فقالوا تركنا ومضى مع رجل قال له إنه عمه وأخذه في السيارة ومضوا ،فقال له الضابط محمد:

وهل يستطع أحد الصبية أن يصف أو يرسم ملامح هذا الرجل؟

فقالت الزوجة:

نعم هناك ولد اسمه محمود وصفه لنا ،فقال الضابط محمد:

أريد أن أرى وأسمع هذا الولد بنفسي ، ثم نظر إلى عباس وقال له هل اتصل بك اللصوص إلى الآن؟

فقال عباس:

نعم؛ لقد اتصلوا ،

فقال له الضابط محمد وهو يقبل عليه بوجهه:

وماذا قالوا لك؟

فقال له عباس في صوت خافت:

لقد قالوا غداً آخر موعد لو لم نأت بالمال سوف يقتلون الولد ، فقال الضابط محمد:

وهل حددوا المكان وكمية المال المطلوب؟

فقال له عباس:

نعم لقد طلبوا مني نصف مليون من الجنيهات، أما المكان فلم يحددوا أين هو ، فقال له الضابط محمد وهو يضرب بيده على فخذه الأيمن:

وسوف يخبرونكم غداً ولكن عندما يحددوا سنكون قبلها قد راقبنا الهواتف وكل مكان لكم فإذا اتصلوا فحاولوا أن تطيلوا الحديث معهم حتى نعرف أين هم ؛ أما الآن أريد هذا الولد الذي يعرف أوصاف الرجل الذي خطف ابنكم الآن ، فقال عباس سأنزل وسأستغرق عدة دقائق وأعود بالولد، ثم تركهم وخرج ليعود بالولد والتفت محمد ناحية عبير وقال لها:

يا عبير هل تعرفين أي شيء قد ينفعنا في هذه القضية؟

فقالت:

نعم أعرف، فقال لها الضابط محمد :

وماذا تعرفين؟

فقالت عبير وهي تضع يدها على فمها:

أنا أظن أن من فعل هذا هو نفس الشخص الذي قتل خالي دسوقي وأولاده وزوجته، فقال لها الضابط محمد:

وما الذي يجعلك تقولين ذلك؟

فقالت عبير:

ولماذا يحدث مثل ذلك لنا نحن خاصة؟

فخالي وأولاده وزوجته يُقتلون ويُسرقون وخالي الآخر يخطف ابنه ولا ندري ماذا سيحدث ، فاعتدل الأب ثم قال:

إن كلامها فيه الكثير من الصحة ولكن من هؤلاء؟

ولماذا يفعلوا ذلك بنا؟

فقال لهما الضابط محمد بعدما أسند ظهره:

وماذا أضفتما من جديد؛ أنا أريد أي معلومة تدلنا على الجاني وليس تخميناً كهذا.

-وبينما هم يتحاورون جاء عباس ومعه الولد وبصحبة أبيه وجلسوا سوياً وقد اقترب الضابط من هذا الولد وقال لهم:

أحضروا لي ورقة وأي قلم فأحضروا الورقة والقلم وأعطاهما للولد وقال له هيا ارسم هذا الرجل الذي أخذ "نادر" ومضى معه فأخذ هذا الولد القلم والورقة ورسم شبه رجل في وجهه شارب كبير وعيناه تشبه عيني الذئب وشعره مثل قنفد جبلي وأنفه كأنف الطائر النقار ، فأخذ الضابط هذه الورقة وما بها من رسم وقال لهم سوف أذهب أنا الآن وسنصل إلى هؤلاء الأوغاد إن شاء الله ، فخرج الضابط محمد من منزلهم، وظل الولد المخطوف يبكي أمام حمدان ومن معه من ذئاب الليل وهم يضحكون ويلهون مثل قرود في القفص والولد يبكي وينادي بصوت يخلع القلب خلعاً:

أين أمي، أريد أبي؟

أريد أن أذهب من هنا، ثم اقتربت هذه الراقصة من نادر لتطعمه وتسقيه ولكنه رفض وأخذ يبكي ويقول لها:

خديني لأمي ، فنهره حمدان وقال له:

لا أطيق سماع صوتك؛ إياك أن تتكلم ثانية ، هيا أدخليه إلى الغرفة ولا يخرج إلا غداً ، فأخذته هذه الراقصة التي تدعى "سهير" وأخذت تهدأ من روعة الصبي وهو يصرخ ويبكي

، ولكن لا مجيب، فالحيوان أحياناً يكون أرحم من بعض الآدميين، فقد يتحول الحيوان لمخلوق به من الوفاء والرحمة ما يجعلك تتعجب من ذلك، أما بعض الناس فتراهم كالذئاب، لا وفاء لهم، ولا عهد لهم، وقد لا يخون الذئب إذا وجد من يعتني به في صغره ويلبي له ما يحتاجه، بل ويدافع عنه، فهؤلاء يأكلون لحوم أقرب الناس لهم دون وازع ولا ضمير يردعهم، فقد يتحول الإنسان لآلة حربية تفتك وتقتل وتدمر كل إنسان مثله، وهذا كله لطمع في ما يملكه أو الحقد والحسد الذي في داخله، ويجري في دمه كما يجري السم في فاه الثعبان.

يذكرني بكاء هذا الطفل وهو يصرخ على أمه ويريد حنانها وحضنها ودفء أبويه بقول الشاعر محمود درويش:

(خديني أمي إذا عدت يوماً وشاحاً لهدبك....وغطي عظامي بعشب تعمد من طهر كعبك.... وشدي وثاقي بخصلة شعر بخيط يلوح في ظل ثوبك)

-ذهب الضابط محمد ليخبر السلطات ليتخذوا الاحتياطات اللازمة لتفادي أي ضرر بالصبي وليقبضوا على هؤلاء

اللصوص، فتزرع الشرطة أفرادها في كل مكان يمكن أن يكونوا فيه وتتبعوا هواتف منزل عباس وأبو الصبي الصغير.

-تعيش أم هذا الصبي لحظات من الانهيار العصبي وحالة مزرية من البكاء الهستيري مما جعلها لا تذوق النوم، ولكن عباس أخذ يشعل سيجارة ثم سيجارة وينتظر بجانب الهاتف لعل هؤلاء اللصوص أن يتصلوا به، وتمر الدقائق والثواني وهو بجانب الهاتف فربما غمض جفنه من شدة السهر والانتظار ولكنه لا ينام نوماً عميقاً، وفي الساعة العاشرة صباحاً اتصل به الضابط محمد وسأله هل اتصل بك أي أحد؟

فأجابه بلهفة وشغف ، لا لم يتصل أي أحد حتى الآن ، فقال له الضابط محمد:

وهو كذلك سأتركك الآن فلعلهم يكلمونك الآن ، فقال له عباس:

وأنا في انتظارك، وأغلق عباس الهاتف ونادى على زوجته لتأتي له ببعض الشاي ولكنها لم تكن في حالة طيبة ، فلما رآها هكذا تركها وأوقد النار ليطهي لنفسه بعض الشاي، وبينما يحتسي أول رشفة من كوب الشاي سمع صوت

الهاتف، فأسرعت الأم وأسرع هو كذلك ليمسكوا سماعة الهاتف ، فتتركت هي سماعة الهاتف لزوجها فرد على المتصل:

من المتصل؟

وسمع نفس الصوت الغليظ الذي لا يوجد فيه أي إنسانية، ثم قال له:

هيا اخرج الآن بالمال الذي اتفقنا عليه ،فقال له عباس:

وبعد ذلك ماذا سيحدث؟

فقال له حمدان:

سنجدك ولكن لا تلعب بنا وعندما تخرج من البيت لا تتحدث مع أي أحد ونحن سنجدك ، فقال له عباس في لهفة:

وهو كذلك ولكن أريد ابني ، وقبل أن يكمل كلامه أغلق الهاتف في وجهه ، وأخذ عباس معه المال ليمضي إليهم ، فقالت له زوجته: سوف أذهب معك أريد أن أرى ابني وأخذت تبكي ، فنهرها عباس وقال لها لن تأتي معي فهذا لا يصح وقد نصحوني أن أذهب بمفردي ولا أتكلم مع أي أحد وقبل أن يمضي اتصل عليه الضابط محمد وقال له:

لقد سمعنا كل المكالمة وسوف نكون معك فلا تقلق وهيا اخرج ، فقال له عباس وقد وقف ليستعد للخروج:

وهو كذلك؛ وأغلق الهاتف ومضى إلى الخارج ثم عبر الطريق وهو يلتفت يمنةً ويسرةً حتى يراهم وبعد أن سار أكثر من كيلو متر لم يجد أي أحد مما جعله يضطرب ويقلق وبدأ يلتفت أكثر وأكثر حتى وجد امرأة في جانب الطريق تجلس كالمتسولين في ثياب رثة ، فلما جاء أمامها نادت عليه، فلم يعيرها أي اهتمام، فلما ابتعد عنها عدة خطوات قالت له:

أنا أناديك يا عباس من أجل ابنك الذي خطف ، فالتفت إليها ورجع إليها مسرعاً فقالت له:

لا تقف بجانبي ثم ادخل الشارع الذي بجواري هذا ولا تتلكأ فنظر إليها ثم مضى في الطريق الذي أخبرته به ولم يمضي كثيراً في هذا الطريق حتى قابلته سيارة سوداء وبها ثلاثة رجال ومعهم أسلحة نارية ، فنزل أحدهم وقال له:

هيا اركب، هيا، وقبل أن يمتطي السيارة إذا برجال الشرطة يسرعون خلف السيارة وأحس بذلك اللصوص فأسرعوا بأقصى سرعة لديهم وأخذوا يتجهون في الطرقات هنا وهناك

ولما أحسوا باقتراب الشرطة منهم أطلقوا عليهم الرصاص الكثيف ولكن رجال الشرطة لم يبادروهم بضرب الرصاص حتى لا يصيبوا عباس فهو معهم في السيارة ولكن اللصوص نالوا من الشرطة إما بانقلاب سيارة أو ثقب إطارها أو بإصابة أحد الشرطة برصاصة في جسده، ولم تتمكن الشرطة من اللحاق بهم وباءوا بالفشل الذريع مع اللصوص وفي مكان موحش وقفوا بالسيارة وكان حمدان ينتظرهم، ولكنه كان متخفياً، فلما وقفوا أنزلوا عباس وأخذوا منه المال وهو يصرخ أين ابني؟

أنا أحضرت لكم المال فأين ابني؟

فاقترب حمدان من عباس ونظر في عينيه وقال له:

أتعرفني أم لا؟

فقال له عباس وقد بدا عليه الخوف والقلق:

لا أعرفك ولكني أحس بأني أعرفك ،فقال له حمدان:

أنت تعرفني جيداً فقد كنت معكم في منزلكم وبين جوانحكم وفي طفولتي وفي احتياجي لمن يرعاني فألقيتم بي في بئر

النسيان وعواصف الزمان وتحت أقدام الصبيان وبين جدران العذاب ، فقال له عباس:

أنت حمدان أليس كذلك؟

فقال له أنا حمدان وأنتم إخوتي فقد نلت من أحدكم وأنت الثاني ، فقال له عباس:

أنت الذي قتلت دسوقي أخي؟

فقال له حمدان وهو يمسك بسلاحه وقد وضعه على رأسه:

نعم وكنت لا أنوي قتلك أما الآن بعدما غدرت بنا وأخبرت عنا الشرطة فلا أنت ولا ابنك ستذهبون لبيوتكم أو يكون لكم أي عيش في الدنيا بعد الآن ، فصرخ عباس : دع ابني وافعلوا بي ما تشاؤون إذا أردت أن تنتقم من أحد فانتقم مني ودع الولد وخذ المال وما شئت من ممتلكاتي ، فقال حمدان:

نحن أخذنا المال وسنقتلك ونقتل الولد وسأبدأ بك الآن وأشار إلى من معه قائلاً:

هيا اقتلوه لننصرف ، فأخرجوا أسلحتهم ورموه بطلقات نارية في رأسه وجسده وتركوه صريعاً في الخلاء ومضوا مسرعين نحو وكرهم بجوار ترعة "المريوطية" في مكان

معزول لا يراهم إلا القليل من الناس فدخل حمدان إلى المكان وقال لهم أحضروا الولد فأحضروه له فلما جاء إليه أمسكه من ذراعه وقال له:

سوف نجني من وراءك المال الكثير يا بن عباس الحلواني هيا خذه من أمامي.

- تتوارى العقارب خلف التراب لظنها أنها مختبئة عن أعين أعدائها ولكن لا تعلم عن حب غيرها أي شيء، فمكان الموت لا يخفى على أحد، لأنه في كل شيء وفي كل مكان، فالغيم يسد شعاع الشمس عن وجوه الناس التي تسير في العراء، ولأن السيل لو لم تصنع له تلك القنوات لأغرق ما أمامه من أخضرٍ ويابس، فصوت الباطل يخرج كصوت المدفع ولكن لا تسمع له بعد ذلك صوتاً.

- دخل الضابط محمد مكتبه بعدما جاء من المشفى من عند الذين أصيبوا في هذه المهمة، فأخذ يفكر فيما حدث وكيف تم هذا ومن هؤلاء الذين جعلوني أفشل في المرتين وأرجع بتلك الخسائر وعدم النجاح في مهمتي وأسمع كل هذا التوبيخ من هذا وذاك، وبينما هو كذلك يهيم في التفكير والغيظ الذي

سيطر عليه فيستدعيه مديره إلى مكتبه ، فيذهب إليه على عجل ويدخل عليه المكتب ويحييه فقال له:

اجلس ، فجلس على الكرسي ونظراته لا تفارق عيني مديره ، فقال له:

هيا اجمع الناس فلدينا جريمة قد حدثت في نفس القضية، لقد قتل عباس الحلواني بعدما أخذوه في السيارة وبعد المطاردة التي أصيب فيها رجالنا ، فقد قتلوه وتركوه بالقرب من الهرم وقد عثرنا عليه منذ ساعة بعدما أبلغنا أحد الذين مروا من هذا المكان ، فقال الضابط محمد ولماذا قتلوه؟

لقد أخذ معه المال حتى إنه حاول ألا يعرفنا أنه أخذ المال، فقال له العقيد خالد:

هيا سنتوصل إن شاء الله لهؤلاء القتلة عما قريب وانطلقوا جميعاً إلى مكان الحادث ،

-تعرف عبير ما حدث هي وزوجة خالها وأبويها فوجدهم الضابط محمد هناك عند موقع الحادث، فهناك رأت عبير الضابط محمد بعدما نزل من سيارة الشرطة، فأسرعت نحوه وهو يتقدم نحو الجثة ، فقالت له وهي تبكي:

لماذا قتل وأين كنتم حين حدث ذلك؟

فأخذ محمد يهدأ من روعها وقال لها:

لقد كنا خلفهم لحظة بلحظة حتى أطلقوا علينا الرصاص وأصيب منا ثلاثة جنود ولولا أن خالك عباس كان معهم في السيارة لأطلقنا عليهم الكثير من الطلقات ولقبضنا على من بقيَّ منهم أو قتلناهم جميعاً ، فاقترب العقيد "محمود من محمد وعبير ثم نادى على الضابط محمد وقال له:

أرأيت كيف قتل بكل بشاعة وعنف؟

إن مثل هؤلاء اللصوص القتلة لا يفعلون ذلك بدافع السرقة والمال وحسب بل عندهم دافع الانتقام ، وأنا قد أحتاج منك أن تقترب من هؤلاء الناس أكثر لتعرف عنهم كل شيء ، فقال له الضابط محمد: سأفعل إن شاء الله.

-اتصل حمدان بأحد الناس ويدعى "رشاد الشوربجي" وأخبره أن لديه ما يريده ، فقال له رشاد:

سوف أكلمك مرة أخرى ، وبينما الطفل يبكي ويصرخ وهم يشربون الخمر ويتسامرون ويذهبون إلى هذا الملهى الليلي كما يفعلون كل ليلة فيقيمون ليلهم في أحضان الخمور

والراقصات والمومسات ويقررون كل شيء وهم كذلك فتأتي الأفكار الشيطانية لهم وهم يرقصون ويشربون ، ولكن هذه المرة قرر حمدان ما لا يتوقعه غيرهم، فقد جلس حمدان ومعه عصام البربري والقط والنمر وهم يجتمعون في آخر الليل بعقول الشياطين ، فقال حمدان:

إن هناك من سيشتري هذا الولد بثمن باهظ ، فقال له البربري:

بكم سنبيعه يا زعيم؟

فقال حمدان وهو يتجشأ ثمالة الخمر:

سنبيعه بمليون ونصف من الجنيهات ، فصفق القط وصاح، أحسنت يا قائد ، ثم قال النمر:

نحن يا سادة بعدما أن أصبح عندنا أفضل سيارات وهذا المال الكثير لابد أن نفعل ولو ثمة مشروعٍ يكفينا عن ما نفعله هذا وأن نهدأ ولو عدة أسابيع ، فغضب حمدان وقام وهو يلقي ما على المائدة من أكواب وأطباق وقال:

لن أهدأ ولو حتى ساعة واحدة ، سأجعل كل الناس تتجرع الشقاء والحرمان والذل والفقر والحاجة في هذا البلد ما

حييت، وأخذ الراقصة التي يعشقها وذهب بسيارته إلى منزله الجديد وأخذ معه بعض الزجاجات من الخمر ومضى.

الفصل الرابع

أخذ الناس يتحدثون عن كل هذه الحوادث التي تحدث تباعاً ولا يوجد من فعل ذلك أو لم يعثروا على الجاني وتعيش عبير وأمها وزوجة خالها مأساة قد طالت فموت اثنين من الإخوة وموت أطفال وزوجة في خلال أسبوع لمصيبة ثقيلة على قلب أي إنسان.

-فيدفع ثمن الماضي أحفاد اليوم ويموت بلا ذنب من شارك في دماء اليتامى، فتتثاقل الأعباء على كاهل الظالم حتى يمشي وقد تلطخ بدماء الأبرياء الذين ولدوا في أرض مفعمة بالظلم ووئد الحق وتلطيخ كل متفوق بالفقر والحاجة لكل مقومات الحياة، فتجد الطفل الرضيع يسبح في بحر الظلمات بلا أنيس معه أو مركب بلا شراع وسط عباب الموج المتلاطم ليدفعه نحو شاطئ المستحيل ومرفئ الوهم الذي يتخلله ضياع العمر بين أهات الأمهات التي في الجحور بلا ماء ولا هواء حتى يذهبون لحدائق الموت بعدما انتهت حياتهم بين ركام الموتى ودموع الثكالى وآهات اليتامى، لأنهن عجزن

عن إسعاد أولادهن وتحقيق ما يريدونه من عيش كريم وسط بني الإنسان، فموقعنا لا يمكن لأحد رؤيته سوى من عاش معنا في هذا العالم المرير.

-الشرطة انقلبت رأساً على عقب، فأخذوا يبحثون في أرجاء الأماكن المحيطة التي قتل فيها عباس وقبضوا على أشخاص عديدة منهم المسجل خطر والقتلة واللصوص وأصحاب السوابق في السطو المسلح وكل من له صلة بهؤلاء الذين جني عليهم، ولكن بدون جدوى فقد استعملوا كل السبل من ضرب وتعذيب وتهديد وضغط لكي يعرفوا من الذي فعل ذلك، فلم يعرفوا أي شيء ولم يحصلوا على الجاني الحقيقي ولم يتوصلوا أن الذي فعل ذلك هو حمدان الذئب .

وبعد أيام من هذه الحوادث جلست أم عبير مع زوجها وقالت له:

يا زوجي العزيز:

لابد أن نعيد بن أخي عباس مهما حدث فهو من بقي لي من الدنيا ، فقال زوجها لها:

ألا يوجد لكم أي أحد آخر من أقاربكم؟

سأقول لكم:

لقد نسيتم أصغر أخٍ لكم ولقد تجاهلتم هذا الأخ وما فعلتموه به وتركتموه كأمه يذهب في مهب الريح ، فقالت أم عبير:

نعم تركنا حمدان ولا نعرف عنه أي شيء منذ أن ألقيناه في الملجأ وهو في صغره ولم نتصل به أو نسأل عنه ومنذ هذا الحين لا نعرف أين ذهب أو هو من الأحياء أو من الأموات؟

فقال أبو عبير:

أنا عندي بعض الشك أن حمدان من الأحياء وفي الشارع وربما أصبح من المجرمين ويكون هو وراء ما يحدث لإخوته فأنا أري فيما يحدث الشر والانتقام وخاصة أن الجاني قتل أخوين اثنين ولا يستخدم معهم الرحمة ، فقالت أم عبير:

لا أظن ذلك وحرصاً على ذلك سوف نذهب للملجأ ونعرف منهم ماذا حدث له؟ وأين ذهب؟

وسوف نتتبع كل ذلك ، فقال أبو عبير:

يكفي ذلك سننام وفي الصباح سنذهب إلى الضابط محمد ونعرفه بما دار بيننا حتى يساعدنا في ذلك ونعرف منه ماذا حدث لهذا الولد بن عباس ، ولم تخرج عبير من غرفتها منذ

حدث هذا الحادث ولا تذهب لأي مكان ، فقد افتقدها الضابط محمد فاتصل بها وأخذ يتحدث معها فقال لها:

لماذا لا تخرجين أود أن أراك غداً حتى أخرجك مما أنت فيه من الحزن ، فقالت له عبير:

أنا لا أصدق ما حدث إلى الآن وخاصة أني كنت أحب خالي عباس فقد كان يعاملني مثل معاملة أبي في عطفه علي ،فقال لها الضابط محمد:

هيا سأدعك تنامين الآن وفي الصباح نتحدث، هيا تصبحين على خير ، فقالت له عبير:

تصبح على خير أراك غداً.

-الليل يحلو فيه السمر وخاصة في عالم الذئاب فهم يبغضون النور ويحبون الظلمة والخفاء، فلكل فئة من الناس عيشهم ومتعتهم وما يصبون إليه من متع لحظية أو مستقبلية، فمتع الحبالى في ليل الألم معدومة، أما من يعيش متعة الرذيلة والخنا فتكون سويعات معدودة يكسوها السهر والآهات ووقوف كل الحياة حاجزاً بينها وبينهم، لتعكر صفوهم وتكدر عيشهم، وتجعلهم يتجرعون ويلات الظلم وعقاب الرب الذي

لا يذر من عصاه يتلذذ بحياته ولو كان يفترش الحرير ويرتدي الذهب ويأكل ألذ اللحوم وأنقى وألذ الشراب.

-التقى حمدان بهذا الرجل الذي سيشتري هذا الولد واتفقا على موعد ومكان ليسلمه الولد، فذهبوا ليلاً بعد منتصف الليل بالقرب من هذا المنزل الذي يقطنون فيه، فأعطوهم هذا الولد وأخذوا المال الذي اتفقوا عليه آنفاً، فانصرف الجميع من المكان وذهب حمدان ورجاله اللصوص لمحل إقامتهم فتقاسموا المال، وخطط كل واحد منهم ما سيشتريه وما سيفعله فيما بعد ، وفي اليوم التالي ذهب حمدان ورجاله فاشتروا سيارات فارهة وملابس أنيقة ومنازل قيمة ليعيشوا جميعاً عيشة مختلفة عن التي عاشوها في الماضي، فقد ذاقوا الحرمان من كل شيء ومن متع الحياة ومن دفء الأسرة وحضنها، فالحياة لم ترحمهم ومن يقوم على مثل هؤلاء لم يرعاهم رعاية رشيدة بل عاملوهم معاملة السجناء وخاصة الجناة منهم، فحق لهؤلاء أن يخرجوا على المجتمع كأنهم قطيع من الذئاب الذين لو انفردوا بأحد البشر أو الغنم لأكلوه حياً دون رحمة أو نظرة عطف؛ أو أدنى شفقة.

-قضى حمدان ورفاقه ليلتهم وقد تغيرت سماتهم وما هم فيه، فقد أصبحوا يرتدون أفخر الثياب وأثمن السيارات وقد اتفق حمدان مع هذا الرجل الذي أخذ هذا الولد أن يغير له كل بيناته في هويته ، فهذا الرجل ذو شأن في المجتمع وممن يملكون مفاتيح القرار في مصر وبهذا لن يسهل التعرف على حياة حمدان ولا ماضيه ، بل سيكون صاحب اسم نظيف ومكانة رفيعة وله من الأعمال الكبيرة ما يجعله من سادة المجتمع ولكنه رغم ذلك كله فلا ينوي أن يترك القتل أو النهب والسطو بل يأخذ هذه الأفعال كهواية له أو رياضة يتسلى بها بين الحين والآخر فمرت الساعات تباعاً وذهبت أم عبير وزوجها للضابط محمد ومعهم زوجة عباس ليعرفوا ماذا تم في قضية الولد فقال لهم الضابط محمد وقد ظهرت عليه علامات الحزن والخزي:

والله بذلنا ما في وسعنا ولم نعثر على الجناة ولكننا نواصل البحث عنهم ليل نهار وإذا جد في القضية ما ينفعنا سأقول لكم فأنتم تعرفون أنكم لي الآن كأهلي وعشيرتي، وإذا توصلتم لشيء فأبلغوني فوراً ، فقالت له أم عبير والحزن يكسو جبينها:

أريد أن أعرفك بعض الأشياء فلربما كانت في صلب القضية ،فقال لها الضابط محمد :

قولي إني أسمعك ، فقالت له أم عبير:

يا حضرة الضابط لقد كنا أربعة إخوة، أنا ودسوقي وعباس وحمدان ، فقاطعها الضابط محمد وقال لها:

من حمدان هذا؟

فقالت أم عبير:

حمدان هذا هو أحدنا وهو أصغرنا ولكنه كان من أم ونحن من أم أخرى، ولقد كان إخوتي من أقسى الناس عليه حتى أمه كانت تعامله معاملة قاسية لأنها كانت تعشق الرجال أكثر من ولدها فقد تزوجت بعد أن مات أبي وتركته لنا ولكن أخوتي لم يرحموه بل قسوا عليه ووضعوه في ملجأ للأطفال وكان عمره وقتها قد تعدى التسع سنوات أي لم ينسى ذلك ولا سيما وقد تركناه ولم نسأل عنه أو نهتم به أو نعامله معاملة طيبة ، فقال أبو عبير:

ومن خلال هذا الكلام أنا أظن ونظن كلنا أن حمدان هو المسؤول عما يحدث ، فقال الضابط محمد:

وهل تعرفون أين هذا الملجأ بالتحديد؟

فقالت أم عبير:

نعم أعرفه ، إنه في "رمسيس" ومكانه ليس من الصعب العثور عليه ، فقال الضابط محمد:

إن شاء الله سوف نتحرى عنه جيداً ونعرف كل شيء يخص ذلك، ثم قاموا جميعاً لينصرفوا وصافحوا الضابط محمد ومضوا وبعد ساعات من هذا اللقاء قابل الضابط محمد حبيبته عبير في حديقة من حدائق القاهرة الجميلة التي تنم عن الصفاء والحب وكل مظاهر الجمال، ولكن البشر هم الذين أظلموا النور بأفعالهم الخبيثة وببغض بعضهم البعض وبحب الذات وتتبع خطوات الشيطان الذي يأمر بالعداوة والبغضاء، فأحال البشر الطيب إلى خبيث والحلو إلى مر والأمن إلى رعب وفزع، فالحياة جميلة وصافية وما خلقه الله لنا من زروع وثمار وشتى المأكولات من طير وحيوان وفاكهة فكلها مسخرة لنا وقد سخر لنا كل شيء من جبال ووديان وبحار وسماء وأنهار لنستمتع بالحياة وما بها من بهاء وجمال، فالشمس تشرق لنا والقمر يسطع لنا، فلماذا التناحر والتشاجر فيما بيننا على حفنة من الثرى ونحن نملك الدنيا

كلها ، فلا أحد على وجه الأرض كائناً من كان يستطع حجب نور الشمس عن الأرض ولا ضياء القمر عن الناس ولا منع الهواء عن الخلق فالحياة تضحك لنا وتتزين لنا ولكننا زرعنا فيها السموم والأمراض وشيدنا فيها الحقد والغل والحسد والبغض حتى إن السباع والهوام والوحوش الضارية لتستحي مما يفعله ابن آدم في أخيه الإنسان ، فماذا يحدث لو ساد الحب فيما بيننا؟

وأصبحنا إخوة متحابين كما رسم لنا الله في دينه الخطوط العريضة في التعامل والأدب والخلق ، ولكننا اليوم نبذنا ما جاءت به الشرائع والأديان وذهبنا نذبح بعضنا ونكسر أنفسنا حتى إن الإخوة الأشقاء يتقاتلون فيما بينهم حتى إن ساحة المحاكم امتلأت بقضايا بين الأخ وأخيه والزوج وزوجته والابن وأبيه وبين الجيران دون غيرهم حتى صار الجار في المنزل والحقل والمحل والمصنع لهو من أشد الأعداء لجاره فلا تخلوا محكمة ولا قسم شرطة كل يوم من مشاجرات واختلاف وقتال وغير ذلك بين الجيران والأقارب والإخوة ، فهل تستحق الدنيا كل هذا؟

هل عمر الإنسان في الدنيا يستحق هذا العناء والمكابدة والكيد والمكر والخداع وحب الأنا والتعالي والكبر والعدوان والبغي والهجر والشقاق؟

أم أن نفوسنا جبلت على ذلك؟

-اجتمع الضابط محمد بعبير وسط الأشجار وفي ساعة العصاري حيث النسيم والهواء الجميل وصوت العصافير وهي تشدوا على الشجر بصوت ندي وتغرد بأحلى الأصوات فجلس محمد وعبير أمام بعضهما وقال لها:

تعالي ننسى ما حدث لبرهة من الوقت، فأنا أعلم أن ما حدث لخطب جلل، ولكنه قدر الله ، فقالت له عبير:

وهل ما حدث يرضي الله سبحانه وتعالى من قتل وخطف وفقد للأحباب بواسطة الأشرار؟

فقال لها محمد:

لقد خلق الله الخير والشر كما خلق الملآئكة وخلق إبليس ولكننا نحن الذين نختار الخير أو الشر، فسبحانه وتعالى خلق الموت والحياة فالموت على كل الخلق دون استثناء ومع ذلك

فقد حرم الله القتل والبغي وجعل القتل من أعظم الحرمات حتى إن الله تعالي قال:

(ومن قتل مؤمناً متعمداً فجزاءه جهنم خالداً فيها وغضب الله عليه ولعنه وأعد له عذاباً عظيماً) حتي إن عبد الله بن عباس رضي الله عنه قال:

(من قتل مؤمناً متعمداً فقد وجب عليه الخلد في النار إن لم يتب قبل أن يموت على هذا العمل أي بعد القتل يقتل مثلاً أو يموت علي فراشه مثلاً بعد موته، ولقد قال رسولنا (صلى الله عليه وسلم) [لأن تهدم الكعبة حجراً، حجراً أهون عند الله من قتل مؤمن بغير حق] وفي خطبة الوداع خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس خطبة عصماء بين فيها حرمة الدماء فقال: (أيها الناس إن دماءكم وأعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا)

فقالت عبير:

والله إن هذا الكلام لا يعرفه إلا كل تقي أما من نزع منه الدين والخير فلا يصده إلا الموت، ولا وازع له في قرآن ولا وعظ ولا ابتلاءات ، فقال محمد:

كفانا من هذا الحديث عمن قتلوا ومن قتل وتعالي نتكلم عن أنفسنا، فأنا وجدت الشقة وسأدفع لها المقدم وسأذهب لأبيك إن شاء الله ولكن بعد أن تهدأ الأمور ،فقالت له عبير:

نحتاج لبعض الوقت فالأمور ليست على ما يرام ، ولكن قل لي هل توصلتم لأي شيء ينفع القضية؟

فقال محمد وهو ينكس رأسه:

ليس بعد ولكن عرفنا أن حمدان الذي تحدثتم عنه ترك الملجأ منذ زمن وبعدها إلى الآن لا ندري أين ذهب ولكن سنعرف وسأكمل تحرياتي عنه ، فقالت له عبير بعدما وقفت:

سأذهب أنا الآن فقد تأخرت عن المنزل فأمي تترقب وصولي الآن ، ثم أخذت حقيبتها لتنصرف؛ وقام محمد وانصرفا.

-قابل حمدان هذا الرجل ومعه غلاماً آخر وقد جعل ثمنه هذه الأموال الكثيرة ليبيعه لتاجر أعضاء بشرية وسلمه الغلام وأخذ منه المال والولد يصرخ ويبكي ولكن لا رحمة ولا رأفة به وقبل أن يذهب قال له حمدان متى تسلمني بطاقة هويتي الجديدة؟

فقال له هذا الرجل:

تعالى عندي بعد غدٍ وستجد كل شيء معدٌ وجاهز كما اتفقنا، ولكن أريد منك الكثير من هذا العمل أي من الأطفال، فهناك من يريدهم ويدفع فيهم الكثير ،فقال له حمدان:

أنا لن أتوانى عن ذلك ما حييت فقد قطعت العهد على نفسي أنا أجعل هذا الشعب يتجرع كأس الفراق والضنى والوحدة والألم وكلما كان لي في هذه البلدة أهمية ومكانة كلما كدرت عيشهم وأظلمت ليلهم فلا أجعلهم يتمتعون بعيش أبداً وأجعل نهارهم أسود من الليل الحالك ، فنظر إليه هذا الرجل وقال له:

سيكون لك المستقبل الباهر معنا فنحن نحب أمثالك ونقدرهم ولكن لابد أن نجد ما نطلبه ، فنظر إليه حمدان وقال له:

وأنا طوع أمركم ما دمتم في ظهري وعوناً لي ، ثم أخذ منهم المال وانصرف ، ولم يكن هدا الذي حدث بآخر مرة لحمدان ولكن هذه البداية لكوارث عديدة وجرائم شتى تنتظر الناس لتفزعهم وتقلق منامهم.

-أخذت زوجة عباس تبكي ولا تجف دموعها على فراق ابنها وأخذ الجيران يواسونها ويحاولون أن يساعدوها وامتلأت

الصحف بتلك الأخبار وخاصة خطف الولد وعدم رجوعه لأهله إلى الآن وخرج بعض المسؤولين على التلفاز وحركوا الرأي العام مما جعل وزير الداخلية يتدخل في القضية وتدخل كبار الشرطة مما جعل الضابط محمد لا يعرف النوم ولا الراحة فقد ضغطوا عليه ولكنه وصل إلى حمدان وأنه لما خرج من الملجأ دخل الإصلاحية وقد قضى في الإصلاحية أكثر من خمس سنوات ثم بعدها في سجن المزرعة بتهمة السطو المسلح وقد قضى به أيضاً أربع سنوات ، ونحن الآن نبحث عنه لأننا تأكدنا من كل الأدلة على أنه وراء هذه الحوادث ولا سيما وأنه هو الذي ظلم من إخوته وهو الذي أراد أن ينتقم منهما، وقد استدعى عبير وأبويها وزوجة خالها وأعلمهم كل ذلك، ولكن حمدان لم يكن في بطاقة هويته حمدان بل قد تغير اسمه وشكله وكل ما يثبت أنه حمدان فلقد رفعت الشرطة البصمات في مواقع الجرائم التي ارتكبت من حمدان وطابقوها مع بصماته التي في صحيفته الجنائية فوجدوها طبق الأصل وأن الجاني هو حمدان ومعه عدة بصمات ولكن لا يعرفون من هم ، ولكنه قد ضاع كل ذلك المجهود سدى فلن يعثروا على حمدان لأنه أصبح من اليوم

، "هشام المليجي" وصاحب شركة استيراد وتصدير ، فلا تستطع الشرطة أن تجده بعد هذه التغيرات التي طرأت عليه ، ولكن الإجرام لا ينفك عنه حتى لو صار من الرهبان فقد جعل هذه الشركة وما هو فيه من الأبهة والعظمة كغطاء ليغطي جرائمه وما سيفعله في المستقبل.

-فتلتف الشجيرات الصغيرة حول أختها والتي كبرت منها تكون منفصلة بذاتها، أما جذوع النخل فلا تتهاوى في شبابها وفي موسم الربيع تكون الأشجار مخضرة كأن الحياة عادت لها من جديد، فأصحاب القلوب المريضة لا جذور لهم ولا أغصان لحياتهم فهم كأوراق الشجر المتهالك الذي عفا عليه الزمن وسجنه الظمأ بين جدران الجفاف ليحرمه من شربة ماء تروي سيقانه الضعيفة التي لا أصل لها في الأرض ولا في السماء.

- ذهب ليلاً هذا المجرم لمنزل رشاد الذي اشتري الولد الآخر، والذي غير اسم حمدان وأسماء رجاله اللصوص وفعل معه هذه الأشياء ، وفي اللقاء يتفق معه رشاد أن يأتي له بثلاثة أطفال غير هذا الطفل الذي أخذوه وأعطى له صورهم وكل المعلومات التي ترشده عليهم ،ومضى إلى طريق

الشيطان حيث رفاقه الثلاثة فقد تغيرت أيضاً حياتهم وكل ما هم فيه فقد صاروا في منازل أخرى ولكنهم لن يتركوا الإجرام رغم ما هم فيه ، فجلسوا سوياً على مائدة الشيطان ليناقشون سوياً ما يريدونه ، فقال القط:

يا زعيم لقد أصبح لدينا الكثير من الرجال الذين سيفعلون لنا ما نريد فلو أردت أن نكثف عملنا فهدا أفضل ، فقال له هشام (حمدان):

وهو كذلك ثم أعطى الصور التي معه للنمر وقال له عليكم بهؤلاء الأطفال ففي هذه الورقة كل بيناتهم فلو استطعتم أن تأتوا بهم اليوم فأتوا بهم وسنأخذ من أولياء أمورهم فدية كبيرة ومن تمرد نقتله ثم نبيع هؤلاء الأطفال ، فقال له البربري:

ولماذا نطلب فدية ما دمنا سنبيعهم؟

فقال له هشام:

إن هؤلاء الناس ليسوا كباقي الناس بل هم من نريد ، فهم من عذبونا وألقونا في مستنقع الحرمان والذل فسأجعلهم

يتجرعون أشد العذاب ، وسأذيقهم ألم الفراق ولوعة الافتقاد وعذاب الحرمان ، فقال له القط:

وهو كذلك فستجد هؤلاء الأولاد هنا اليوم ، فقام هشام (حمدان) وقال لهم سوف أذهب الآن، لأن لدي ما يشغلني ، فقال له البربري:

ماذا يا ترى؟

هل هي بنت هذا الرجل المهم؟

فنظر إليه هشام وهو يبتسم ابتسامة الليث العجوز؟

نعم هي ولكن علاقتي بها ستجعلنا في أحضان الكبار الذين يملكون مقاليد البلاد في مصر ومن معهم مفتاح القرار ، فقال له النمر:

هنيئاً لك ، ليتنا نجد مثلها حتى نصعد إلى هذه الطبقة من الشعب ، فقال له حمدان "هشام" :

ومن الآن وصاعداً سيكون هناك ترتيب لكل واحد منا وخاصة مع هؤلاء الرجال الذين جعلناهم معنا ، فأنا سوف أجلب المهام والمال ويتلقى مني الأوامر عصام البربري، والقط والنمر ينسقون مع الرجال التنفيذ وأنا والبربري سوف ندير

شركة الاستيراد والتصدير ولن نأتي هنا إلا كل فترة ، ثم نظر إليهم وقال لهم:

اتفقنا أم هناك أي كلام آخر؟

فقالوا جميعاً:

وهو كذلك، فذهب هشام إلى حفلة تحضرها تلك الفتاة اليافعة التي ترتدي القليل من الثياب وتضع الكثير من المكياج والعطور وتسمى "دعاء" ، فقد دللها والدها، فهم يعيشون في ثراء ورغد من العيش فقد استقلت السيارات منذ أن كانت في المدرسة الثانوية وتأكل أفضل الطعام وتلبس أفخر الثياب وتذهب إلى أرقي الأماكن لتتجول بها وترّوح عن نفسها في المنتجعات الفاخرة والفنادق وكل ما يخطر وما لا يخطر ببالك فلها ما تقر عينها في هذه الدنيا من متع الحياة الكثيرة، فهل سيقدر حمدان الذئب أن يسعدها وأن يجعلها طوع أمره أم سيسير على هواها حتى يصل إلى مأربه ومراده؟

فهشام ليس بالإنسان السهل ولا الرجل الذي يسهل خداعه أو هزيمته ، فقد جاء إليها الحفلة ومعه خاتم من الماس ، فقبل يدها ثم وضع الخاتم في إصبعها وجلسا معاً على الطاولة

وأخذا يتحاورا معاً عن حياتها وحياته ، فسألها عن العلاقات السابقة لها ، فقالت له:

لقد أحببت منذ ثلاثة أعوام أحد الفتيان الذين كنت أتسامر وأقضي الليل معهم وقد قضينا الكثير من الوقت وسافرنا معاً وكنت أحبه أكثر من نفسي وأنفقت عليه المال الكثير حتى إذا ذهبت له يوماً من الأيام فوجدته مع امرأة أخرى فقد كانا بلا ملابس وفي وضعٍ مخلٍ فاضحٍ مما جعلني أتقيأ، وقد أصابني انهيارٌ عصبي لبثت في المشفى على أثره ستة أشهر ومن بعدها لم أحب أي رجل أو أثق في أحد ، فقال لها هشام:

وأنا أيضاً لا أثق في أحد ولم يكن لي أي تجربة من قبل ولم أحب حتى أمي ولكني أبحث عن زوجة أعيش معها وأرتمي في حضنها حين أرجع ولا تناقشني فيما أفعل وحتى أريحك فأنا لا أحب أكثر من امرأة لو أحببت فلدي ما يشغلني عن العلاقات الكثيرة وإهدار وقتي في مثل هذا ،فقالت له دعاء:

إني أرى في كلامك الحزن وعدم الرضا وأنك قد صدمت من قبل في واحدة من النساء التي جعلتك تقول هذا ، فقال لها هشام وهو ينظر نظرة حزن:

أنا لست كأغلب الناس فقد صعدت سلم الحياة من الحضيض، فقد عملت في سوق الحياة منذ صغري فتعلمت الكثير مما جعل شخصيتي فريدة ولك أن تدخلي في أغوار نفسي لعلك تجدين ما في نفسي من سر دفين لا أخرجه لأي أحد ، فنظرت إليه دعاء نظرة تعجب وقالت:

أنا لن أتسرع في قرار مثل هذا حتى أتأكد من سلامة قلبك من أي امرأة ومن أنك ملكي أنا فقط ،فابتسم لها هشام وقال:

وهو كذلك كما تشائين.

-قامت دعاء وأخذت أغراضها وقالت له:

سأراك غداً ولكنني أنا من أحدد اللقاء ، فقام هشام وأخذ بيدها ثم قال

كما يحلوا لك وسأذهب أنا لأدعك مع ضيوفك ، فمضى هشام إلى الخارج مسرعاً وهو يقول في نفسه:

والله لو امرأة غيرك لكان آخر عمرها اليوم ولكني سأضطر لذلك حتى أصل إلى ما أصبوا إليه.

-تم نقل الضابط محمد لعدم وصوله للجناة ولأنه نبش في أعماق الكبار وكاد أن يُخرج ما في وكرهم وما يخبئونه،

ولكنه رغم نقله إلى مديرية الفيوم فما زال ينبش في هذه القضية ولن يمل حتى يصل إلى هؤلاء اللصوص الأوغاد ومن خلفهم من الكبار .

الفصل الخامس

كان مع الضابط محمد أحد الرجال الذين يعملون في الصحافة ويسمى مأمون الحلفاوي وكان لا يخشى في الله لومة لائم وكان يتكلم في كل القضايا بكل جرأة وشجاعة لا نظير له في ذلك ، فأخذ يكتب عن الفساد الذي استشرى في المجتمع والخطف والإتجار بالأعضاء البشرية والقتل والاختفاء القصري وغياب الأمن وهروبه من وجود حل لتلك المشاكل ولكنه رغم كل ذلك لن ينجوا من أشراك العناكب المحيطة به وبغيره فهم يتربصون بمن يعلو صوته بالحق وجمح بطش الظالمين ، فتحرك هذا الصحفي بلا خوف أو لم يتوقع أن ينالله أي أحد بسوء وأنه في بلد بها الحريات بلا قيود، فقد كان في فرنسا وكان يكتب ويتكلم هناك بحرية مطلقة وليس يمنعه أي أحد من ممارسة الكتابة بكل وضوح ، فهذا الرجل في عمر الشباب ولديه ثلاثة أولاد ويحب زوجته وعائلته ويحب عمله ويتفانى من أجله ، فأتى الأمر لهشام أن يقتل هذا الرجل لأنه تسبب في إثارة الرأي العام والبلبلة في الوسط الإعلامي والأمني ، فأصدر هشام إلى عصام البربري الأمر

أن يقتل هذا الرجل ، فجند عصام أحد الرجال القتلة لديه أن ينفذ هذا الأمر وعرفه بكل البينات الموضحة لشخصه من صورة شخصية له وعنوانه وغير ذلك، واتصل الضابط محمد بعبير قائلاً لها:

حبيبتي عبير أنا أحببت أن أعرفك أني أحبك من كل قلبي وقد حال بيني وبين رؤية وجهك الجميل هؤلاء الظلمة ولكن صورة وجهك الوضاء التي تشبه القمر وصفاء السماء لا أنساها أبداً ولا تفارقني ملامح وجهك الأنور مهما ابتعدت ولو كنت في آخر الدنيا ، وأحب أن أعرفك أني عرفت هؤلاء اللصوص القتلة ولكنهم حالوا بيني وبين إقامة العدالة على هؤلاء وأعرفك أن هذا الولد المخطوف لن يعود فهناك من يتاجر بالأعضاء البشرية ليأخذوا منهم الكلى والكبد والأعين وغير ذلك من الأعضاء البشرية ويأخذون في المقابل المال الوفير مما جعلهم كالكلاب المسعورة والذئاب الجائعة، فلا رحمة عندهم ولا شفقة في قلوبهم ، ولكني لن أقف مكتوف الأيدي وسأواجه هؤلاء الجبناء بكل سلاح حتى ولو استدعى الأمر أن أقف أمامهم بمفردي ، فقالت له عبير:

لا يا محمد، لا تعرض حياتك للخطر فمن يملك نقلك وفعل هذا كله يقدر على قتلك وإيذاءك وأنا لا أستطع العيش بدونك ، فقال لها محمد:

ياعبير عندما لا يجد الظالم من يردعه يتمادى في ظلمه وبغيه ، فقالت له عبير:

دعهم لله فهو المنتقم الجبار ولن يفلتوا بما يصنعون من عقاب الله فقال لها محمد:

سأكلمك فيما بعد وقبل أن أعود إلى البيت سأتصل بك سلام ، فقالت له عبير وهي حزينة :

سلام يا حبي.

-أخبرت عبير زوجة عمها وأبويها بما سمعته من الضابط محمد عن عدم رجوع الولد مرة أخري وأن هناك من يشتري الأطفال ويبيعهم كأعضاء بشرية.

-ذهب الأوغاد ليأتوا بالأطفال الثلاثة وقسموا أنفسهم مجموعات كل ثلاثة أو أربعة يأتوا بطفل ،فذهبوا جميعاً وكلهم شرٌ ونفوسهم مليئة بكل حقد وفتك ودمار وذهبوا للأطفال في مدارسهم وقت الخروج واستدرجوا الأطفال بحيل

شتى أو بخطف إجباري أو بتخدير لهم وبكل سهولة يأتون بالأطفال إلى هشام فيفرح لذلك ويتهلل وجهه القبيح لرؤية الأطفال المخطوفة ثم أمر البربري أن يجعل رجاله يضعون الأطفال في المخبأ الجديد، ثم أمر القط أن يتصل بكل ولي أمر لهؤلاء الأطفال وأن يطالبهم بفدية عن كل طفل نصف مليون من الجنيهات وآخر مهلة لهم بعد غد وقبل الساعة الواحدة ظهراً وأعلمهم أننا لا نعبث ولا نقبل المماطلة وإذا علمنا بمعرفة الشرطة بأي شيء فلن تعود الأطفال لهم وسيكون مصيرهم هو نفس مصير الأطفال الذين أخذناهم من قبل ، فمضى هشام وتركهم يفعلون ما أمرهم به ولكن البلد انقلبت رأساً على عقب من جراء ما حدث ، فالأولاد الثلاثة هم أبناء ثلاثة من ذوي المناصب الرفيعة في البد ومن ذوي الأملاك والعقارات، فعم الخبر أرجاء البلد وتدخلت وزارة الداخلية بكل أجهزتها ولا سيما وأن الصحف وكل قنوات الإعلان تناقلت الخبر وخاصة هذا الصحفي المخضرم صاحب القلم الحر الذي أوشك على الموت من قبل تلك العصابة فانهمرت دموع ذويهم وتعالت صيحاتهم بعدما ذاقوا ألم الفراق واللوعة والحزن على أطفالهم وتلقون الصوت المفزع صوت

الهاتف الذي أقلقهم أكثر وأفزعهم، وجعلهم في هم على هم، فتكلم القط مع ذويهم هاتفياً من هاتف لا يملكونه ولا يدل على مكانهم فأخبرهم بميعاد التسليم وتابعت الشرطة هذه الهواتف وكل المكالمات ولكنهم يجدون الهاتف إما أن يكون هذا الهاتف لمحل بقالة أو مكان آخر، وقد تابع الضابط محمد ما حدث ولكن عن بعد فهو في الفيوم ولكنه تقطع غيظاً مما حدث في هذه القضية وحاول وهو في مكانه أن يتوصل لكل المعلومات التي تدل على العصابة، فلا يمنعه عن ذلك أي مانع مهما كان.

-تشاهد عبير ما يحدث لهؤلاء الأطفال وتبكي هي وعائلتها على ما يحدث ومنهم من يدعوا عليهم ومنهم من يقل حسبي الله ونعم الوكيل ، وانتشر شر هؤلاء الشرذمة في المجتمع المصري كالنار في الهشيم ولا مغيث ، وذهب في نفس الأحداث هذا القاتل المأجور ليقتل هذا الصحفي ، فيخرج هذا الصحفي من منزله ليلاً كعادته ليذهب لرؤية أبويه فهو قد اعتاد أن يتناول وجبة العشاء ويصلي أيضاً العشاء ثم يذهب إليهما ويجلس معهما ما شاء الله، فقد كان باراً بوالديه وكان يمشي بين الناس بالإحسان والعطف على كل محتاج ومد يد

العون لهم ، وفي هذه الليلة وبينما هو ذاهبٌ لأبويه ينتظره هذا القاتل في مكان مظلم وخالٍ من المارة وقد حمل معه السكين أو ما يسمى بالخنجر ليقتله به واقترب من مأمون الحلفاوي هذا البطل والشجاع لينقض عليه أكثر فأكثر وخرج له ذلك الذئب وقد وضع اللثام على وجهه حتى لا يعرفه أي أحد ،ولمح مأمون هذا القاتل الذي فطن مأمون بعقله أنه لا يبشر بخير ، فلما رأى ما يدل عليه من لباس ولثام فر من أمامه مسرعاً نحو الطريق الآخر فتبعه هذا القاتل وأخذ يجري خلفه بكل ما يملك من قوة ومأمون يجري أمامه وبينما هما كذلك قابله الضابط محمد وقد نزل القاهرة في مأمورية وسيعود للفيوم في اليوم التالي فقابل مأمون وهو يجري فأوقفه وقد ضمه بين يديه واحتمى مأمون به وهو لا يعلم أنه ضابط فهو لا يرتدي لباس الشرطة ، وأسرع القاتل نحوهما بشراسة، ولكن الضابط محمد قد لمح هذا القاتل وعلم من خلال هيئته أن خلفه الكثير ، فأخرج القاتل خنجره ليضعه في قلب مأمون فأمسك يده الضابط محمد وضربه بأسلوب فني حتى يأخذ منه الخنجر ثم جعله يهوي على الأرض وقد أتعبه من كثرة الضرب، ثم وضع في يديه الأغلال (الكلبشات)

وجره نحو أقرب قسم ومعه مأمون، وبعد مسافة لم تتعدى المائة متر وصلوا لقسم الشرطة، وسلم لهم الضابط محمد هذا القاتل ليدخلوه السجن، وبعدما أخذوه صاح قائلاً:

أنا لن أترك الأمر يمضي هكذا أنا؛ سأعرفكم من أنا، وعلم هشام بما حدث لهذا القاتل فلقد أرسل معه أحد رجاله ليتأكد من أنه أنهى عليه تماماً وأنه أتم مهمته ، فلما علم بما حدث أخذ يتصل بمن يعرفهم ويخدمهم ويلهث خلفهم ويهز لهم ذيله فاتصلوا على الفور بمن يهمه الأمر في ذلك فانقلب كل شيء ، حتى انقلب الحق باطلاً والباطل حقاً وأتى الأمر للضابط المسؤول بإخلاء سبيل هذا القاتل والتحقيق مع الضابط محمد ، فجن الضابط محمد وصرخ: كيف ذلك؟ كيف لذلك أن يحدث؟

إن هذا القاتل معه السلاح وأنا شاهدت الواقعة وهذا هو المجني عليه وأنا من حقي الضبط والإحضار، أيعقل بعد ذلك كله أن يخرج المجرم ويحاكم الضابط؟ في أي دولة نحن؟ أم أي قانون هذا؟ أبلغ الفساد في هذه الدولة لهذا الحد؟

فوضع الضابط المسؤول وجهه في الأرض ووضع يده تحت خده ولم ينطق بكلمة، ولكن بعد برهة من الوقت قال لمحمد:

إن ما حدث لا نملك فيه أي شيء وأنت كما سمعت ، فقال الضابط محمد في حنق وغضب:

وماذا تفعل لتحمي هذا الرجل الصحفي كيف نضمن سلامته بعد الآن؟

فلم ينطق الضابط ، ولكن مأمون قال لهم:

ليفعل الله ما يشاء ولكن قبل أن أمضي سأعطيكم بعض الصور لعلها تنفعكم في القضية ، فأخرج من جعبته بعض الصور لبعض المسؤولين وهم يجلسون ويسكرون مع مجرمين مثل هشام وغيره فلما شاهدها الضابط محمد قال له:

كأني رأيت هذا الشخص من قبل ، من هذا؟

فقال له ضابط القسم:

هذا هشام صاحب شركة استيراد وتصدير ومن رجال الأعمال الكبار ، فقال له الضابط محمد:

ولكني أحس أني رأيته من قبل ، فما عليكم دعونا نمضي حتى أذهب مع مأمون إلى منزله فلربما ينتظره أحدهم ، فقال له ضابط القسم:

كما يحلو لك تصحبكم السلامة.

-مضي الضابط محمد ومعه مأمون فنظر مأمون إلى الضابط محمد قائلاً له:

لقد تسببت لك في المتاعب ، فقال له:

لا عليك فأنا اعتدت على ذلك.

-اقترب منزل مأمون، ولما أقبلوا على المنزل دخل معه الضابط محمد المنزل حتى يغلق على نفسه بابه، ثم مضي إلى منزله وقد خيم عليه الحزن والحيرة فقد نالوا منه للمرة الثانية وبعدما كان في فرح وسعادة لمقابلة عبير تبدل الفرح إلى حزن ، فالشر وإن كان يعلوه الخيبة والهزيمة والخزي إلا أنه يستفحل ويتمادى وتخرج له الأنياب والمخالب ويسطو ويسيطر كأن الخير في غفلة أو قد مات الخير، فالليل يأتي بآهات الحيارى وعَبرات الندامة، ويخرج كل ذئب من مخبئه ليأكل نعجة الحمقى والكسالى، فلو لم يجد في الطريق فريسته بحث على أي صوت لفريسة داخل أي وكر ليهاجمها بكل شراسة ولا يدع لها روحها لتهنأ بها، فوجود الشاة وحدها بعيدة عن القطيع يعرضها للموت، فلو وجد كل واحدة بعيدة عن أختها وفي بعد وتناحر وفرقة فهذا يسهل على أي كلب أو ذئب ليصطاد فريسته دون كد أو عناء.

-دخل الليل حتى أتت الساعة الثانية بعد منتصف الليل وقد أتى القتلة إلى منزل مأمون الصحفي وقد قضى معظم الليل في قلقل وخوف وهلع هو وأهله ، فنام من كثرة التعب، ولكن الذئاب لا تنام والشياطين لا تعرف الغفلة ولا النعاس فهم في يقظة دوماً فيأتون منزله ويفتحون أبواب المنزل ويدخلونه بلا صوت وفي همس وصمت، ففتح مأمون عينه فوجد من يضربه بالسكين في قلبه وفي جسده عدة ضربات، ولما همت زوجته بالصراخ ضربوها على رأسها بكعب المسدس وانطلقوا مسرعين نحو الخارج وقد تركوا فريستهم صرعى وغرقى في الدماء فقد هانت عليهم الروح أمام المال والكراسي والسلطات، فلا قيمة للإنسانية ولا الآدمية في زمن الشهوات والمادية ، وفي نفس الليلة يسلم هشام هؤلاء الأولاد لهذا الرجل ويأخذ منه المال وكأنه يشتري بعض الخضروات من السوق ويبتسم ثم ينظر إليه قائلا:

يا هشام الرجل الكبير في غاية السرور منك وقد أوصاني أن أدفع لك أكثر مما اتفقنا عليه وطلب مني أن أبلغك أنه يريد أكثر وأكثر ولكنه لا يأخذ إلا الأطفال الأثرياء لأنهم في صحة عالية وأبدانهم قد خلت من الأمراض، وكأنهم يأخذون بعض

الخراف ليذبحوها أو كقطع غيار حديدية ليس لها أي تقدير أو احترام أو رحمة لصغير أو كبير أو نظرة عطف أو بعض العلم بأن لهذا الكون رب الأرباب ولا يحب الظالمين ولا المتكبرين ولا الجبارين؛ بل إن الله ليملي للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته وربما انتقم الله من الظالم في حياته فتراه يذل ويتجرع مر العذاب من سجن أو مرض أو موت لأحبابه كما فعل بالظالمين من قبل ، فها هو الزعيم الإيطالي "مسوليني" يحتل البلاد ويذيق أهل ليبيا أمر العذاب من قتل وتشريد وذبح ودمار لكل شيء ولكن الله لم يتركه فبعدما حقق للشعب الإيطالي الكثير من الانتصارات والفوز على كل البلاد التي احتلوها ولكن الله عاقبه بعقاب لم يتخيله أبداً، فقد قام أهل إيطاليا بثورة عليه وفي وسط الميدان أخذوا يضربونه بالنعال على أم رأسه حتى مات قتلاً بالنعال وهذا هو "نابليون بونابرت" يحقق لفرنسا أحسن الانتصارات وبعد هذا كله عزل من الجيش ونفى في جزيرة لوحده ومات منتحراً كما قال التاريخ وهذا هو "هتلر" النازي قتل وعذب من عاداه ومن كان في بلاده فكان يحرق اليهود وكل أسير يضعه في

المحرقة بل إنه تعدى ذلك فكان يقتل كل ضعيف أو صاحب عاهة أو شيخ كبير من أتباعه وكان من شعاراته:

(أن لا مكان للضعفاء)، فهزم شر هزيمة وعندما أحس أن العدو اقترب منه وبعد أن فر من بقي من قادة الجيش وتسليم أنفسهم للعدو أخذ هتلر السم وشربه ولما تألم من السم وأراد أن يستريح أطلق على رأسه رصاصة الرحمة، فلما جاء جنود بريطانيا وجدوه قد قتل، فقطعوا رأسه ليكون معهم الدليل على أن هتلر قد مات ثم وضعوا جثته في المحرقة فكان الجزاء من جنس العمل فكما قتل وحرق وقطع وضرب مات بكل الوسائل التي استخدمها مع عدوه ، وهذا هو فرعون يقتل أبناء بني إسرائيل ويستحي نساءهم أي قتل كل طفل من أبناء بني إسرائيل واستعبد كل بني إسرائيل فأذاقهم سوء العذاب كما قال الله سبحانه وتعالى، وكان انتقام الله لهم أشد انتقام فقد أباد الله أولاد آل فرعون عن بكرة أبيهم ولم يبقى لهم أي طفل حتى إن فرعون رأى حفيده يموت ويختنق وروحه تخرج أمامه ولم يستطع أن يمنع ذلك مع أنه ادعى الربوبية والألوهية من دون الله، ثم أغرق الله فرعون وكل جنوده في البحر وقضى الله على حضارة امتدت لآلاف السنين

لتحل محلها حضارة أخرى ، وهذا هو الاحتلال الفرنسي والبريطاني والإيطالي فقد عاثوا جميعاً في بلادنا وأغرقوها في الفساد والخراب والقتل والحرق والإبعاد وأعملوا فينا آلة الحرب والقتل لسنوات عديدة قد تعدت المائة عام، والحروب الصلبية على بلادنا ، فعاقبهم الله بأيديهم فهذه هي الحرب العالمية الأولى والثانية مات فيها أكثر من مائة مليون شخص وتشرد وجرح وأصيب أكثر من ذلك أضعاف المرات وكان هذا جزاءً وفاقاً ،فالله لا ينسى ولا يهمل ظالماً بل يعد له عداً ويخزيه ويذله في الدنيا قبل الآخرة فقد قال الله تعالى:

(ولمن قتل مظلوماً فقد جعلنا لوليه سلطاناً فلا يسرف في القتل إنه كان منصوراً)

، فقد تعهد الله نصرة المظلوم وأخذ الحق منه للمظلوم في الدنيا والآخرة.

الفصل السادس

استيقظ الناس على صرخة من منزل مأمون فزوجته بعدما استردت وعيها وجدت زوجها هكذا وأولادهما يبكون ويصرخون على أبيهم فأخذت تصرخ وتبكي حتى اجتمع الناس مسرعين نحو الدار وأقبلت الشرطة إليهم على الفور لما أُبلغوا بالخبر المفزع وأتى الضابط خالد الذي كان بالأمس في القسم الذي ذهب إليه الضابط محمد مع مأمون وقد رأى المجني عليه صريعاً هكذا فانتابته حالة من الحزن والضيق ولا سيما عندما علم أن المجني عليه هو ذلك الصحفي الذي كان قد لجأ إليه بالأمس فغضب غضباً شديداً واتصل بقادته وبالضابط محمد ووضع أقواله في محضر النيابة وأنه بالأمس حدث كذا وكذا وأن جهات سيادية اتصلت عليه وأمرته بالإفراج عن المتهم الذي شرع في قتل هذا الصحفي وأنهم عاقبوا الضابط محمد ووعدوه بالتحقيق معه لأنه دافع عنه وأنه أتى بالمجرم إلى هنا، فحضر التحقيق الضابط محمد وأدلى بأقواله كلها فيما يخص هذه القضية والقضايا التابعة لها من خطف للطفل الذي قتل والده وقتل عباس والد

هذا الطفل وقتل دسوقي وكل أسرته فكل هذه الجرائم ارتكبها هذا المجرم بمن معه من أتباع ووجهت التهمة لهشام (حمدان الذئب) ، فأمرت النيابة ضبط وإحضار الذئب ، ولكنهم بعد مرور أيام من وقوع الجريمة جاء أمرٌ من هؤلاء الكبار أن تحفظ القضية ضد مجهول وبعدما تكلمت الصحافة عن هذه الجرائم وقتل الصحفي وبعدما أخذوا ينددون ويشجون وتتعالى أصوات الإذاعات وأصحاب الكلمة الحرة ، فقد خرصت الألسنة وصمتت الأصوات وشلت الأقلام وانخفضت الأصوات المرتفعة فلا تسمع إلا همساً وضاعت تلك القضايا أما قضية خطف الأطفال الثلاثة فلا تزال مثارة وتتردد ليل نهار ويبحث عن الخاطفين الكثير من الجهات المسؤولة ولكنهم لن يجدوا أي أثر فهم يبحثون في العراء بينما الأطفال في عرين الأسد أي ما يحدث من جرائم بجانبهم وهم يبحثون بعيداً ، فلا فائدة من ذلك فقد أخذ هؤلاء الأوغاد الأولاد وأخذوا منهم الفدية ولم يعطوهم أولادهم أي أن هؤلاء الناس قد فقدوا أولادهم وخسروا أموالهم وبفعل هشام وهؤلاء الأوغاد صارت البلد غابة مليئة بالقتل والذبح والخطف والنهب ولم تصبح مصر التي عاهدناه التي تتسم بالأمن

والأمان والحب والإخاء بل جعلوها بلا أمان أو سلام ، ويتم التحقيق مع الضابط محمد وهذا الضابط الذي كان في القسم عندما شرعوا في قتل مأمون، وجاء الأمر بنقل الضابط محمد والضابط خالد لأسيوط ، وقبل أن يذهب الضابط محمد إلى أسيوط جلس مع عبير في نفس المكان الذي يجلسون فيه وأخذا يتبادلان أطراف الحديث ، فقالت له عبير:

لماذا كل هذا الظلم الذي وقع علينا؟

فقال لها محمد:

لقد وصل بهم الحال إلى أن يعاقب المظلوم ورجل القانون ويتأهل الظالم لأعلى المراتب ، فقالت له عبير وهي تتنهد:

وما الحل في كل هذا يا محمد؟

فقال لها الضابط محمد وهو يقبض بأسنانه على شفته:

الحل هو أن نتوصل إلى هؤلاء الظلمة ونكشفهم للمجتمع ولكن لابد لنا من دليل على ذلك ، فقالت له عبير:

وكيف تعثر على ذلك وأنت قد نفيت إلى أسيوط؟

فقال لها محمد وقد بدت عليه أمارات التفاؤل:

لقد كلفت بعض الناس بذلك وهم يخلصون لي وأثق بهم، وسنصل إن شاء الله إلى الحقيقة وبتر هذا الظلم الذي ساد بيننا ، فقالت له عبير وهي ترفع رأسها لأعلى كأنها تعبت من الجلوس:

لقد تعرفت على فتاة تتعامل معنا وهي تملك جمعية لرعاية الطفل وقد حضرت لها بعض اللقاءات هناك وقد كرست وقتها للدفاع عن الطفل وحقوق الطفل، واستنكرت ما يحدث من خطف للأطفال وتجارة الأعضاء وخاصة الأطفال منهم، وهي الآن ليس لها أي شغل سوى تأليب الرأي العام على خاطفي الأطفال ، فقال لها محمد وهو يتشوق لكلامها:

وما اسم هذه الفتاة وفي أي مكان هي؟

فقالت له عبير:

إن اسمها دعاء وهي بنت رجل ثري اسمه رشاد الشوربجي فقاطعها محمد وقال لها:

رشاد الشوربجي هذا الرجل إنه من أعضاء البرلمان ومن أثرياء البلد فهو يمتلك عدة شركات ومصانع فلماذا تهتم ابنته بمثل هذا؟

فقالت له عبير:

نعم إن الثراء يظهر عليها ولكنها لا تتعامل معنا كأنها ليست منا بل كأنها أقل منا فهي تنزل الشوارع الشعبية والحواري الضيقة وتذهب للأيتام وتحارب بكل وسيلة التشرد وعمل الأطفال فقال لها محمد:

وهل عرضتِ عليها ما حدث لكم من قتل وخطف وغير ذلك؟

فقالت له عبير:

نعم ولقد وجدتها تعرف كل شيء وتتابع عن كثب ما يحدث من خطف للأطفال وبيع أعضاءهم في بلاد مثل إسرائيل وغيرها ، فقال لها محمد وهو يبتسم:

إذاً لسنا بمفردنا بل الكثير من الناس معنا فيما نعمل فيه، فقالت له عبير وقد أظهرت جمال وجنتيها:

أنا سأذهب فقد تأخرت ، فقال لها محمد بعدما وقف:

هيا لنذهب وسأتصل بك وأرسل لك الخطابات.

-ذهب سوياً حتى ذهب معها لمنزلها، ثم ودعها.

-سافر الضابط محمد إلى أسيوط وقد أكد على أتباعه أن لا يتوانوا في جمع ما هو جيد في هذه القضية ، وذهب هشام "حمدان الذئب" لدعاء ليلاً واتفقا على الزواج ولكنها أرادت أن لا تتعجل فلم توافق موافقة قطعية ولكن أخذت في اختباره حتى تعلم صدق حبه لها، فكانت تعرض عنه وربما لا تهتم به أو تتركه وتمضي وتفعل معه بعض الأشياء من هذا القبيل فما تفعله معه جعلته يهيم في حبها ويتعلق بها مع أنه كان سيأخذها كزواج مصلحة أو منفعة ، وبدأ هشام يتغير فبعدما كان يملك قلباً ليس فيه ذرة حب لأحد أو عاطفة لمخلوق ، فقد أصبح قلبه يهفو لها ويردد اسمها ولا يفكر إلا فيها ولاحظ عليه رفاقه هذا التغيير فقد ترك شوقه وولعه للقتل والخطف وحب الانتقام حتى بدا عليه الحزن والحنق والهيام فأكثر من شرب الخمر والتدخين ولا يهتم بأحد ممن حوله ، فذهب لها كل ليلة فمرة لا يجدها ومرة تنكر نفسها منه ومرة تجلس معه وتطلب منه عدم التدخين أو شرب الخمر ولكنه لا يقدر ويحاول أن يستمتع معها ولكن لا تعطه ذلك، حتى صار كل هدفه حبها والفوز بها، وأن ترضى عنه، فقد يتغير الحيوان من مفترس وغاصب ومتلصص لشيء آخر لو وجد ما تطلبه

نفسه اللوامة من صفاء ودعة وهدوء نسبي والتعلق بمخلوق يختلف عن غيره بقيمه وأخلاقه وسمته ولا سيما لو أن هذا المخلوق ارتسمت عليه تلك السمات التي لم تكن في غيره، فأثرت تلك الأشياء في شخص هشام "حمدان" حتى غير وجهة نظره في الناس وبدأ يستبدل حياته العابثة بحياة أخرى غير تلك الحياة القاسية التي كان يعيشها، فكل هذا ليس بالعجيب ولا المستحيل، فالله قادر على اخراج الكافر والذي لا يؤمن به من جهله وغروره وما هو فيه من كبر وبعد عن مولاه لشخص آخر قد ملئ بالنور والهداية والصلاح، فالله على كل شيء قدير، فكما غير الله كفار قريش لسادة في عالم الإسلام والتوحيد مثل:

(عمر بن الخطاب رضي الله عنه وأبو سفيان وعكرمة بن أبي جهل وغيرهم ممن كانوا بالأمس القريب ضد النبي صلى الله عليه وسلم وضد الإسلام وأهله، واليوم قادة للمسلمين في غزواتهم وفتوحاتهم وحربهم ضد الكفار.

-وفي ظل ما يحدث لحمدان يأتيه بعض الرجال بسيارة سوداء ويرتدون البذة السوداء والنظارات السوداء ومعهم اسلحة نارية يضعونها في جعبتهم ، فيأتونه وقد جلس بعد الظهيرة

على كرسيه وفي حديقته الكبيرة وحوله بعض الرجال خاصته فينزلون من سيارتهم ويأتون إليه وقد وقفوا أمامه ، فقال له أحدهم:

الباشا يريدك الآن ، فقال لهم من الباشا؟

فقال له أحدهم وقد اقترب منه:

حسام باشا أبو النصر ، فقام هشام وقال لهم:

وماذا يريد مني؟

فقال له هذا الرجل الضخم:

ستعرف كل شيء هناك ، فمضى معهم في سيارتهم وهو يقول في نفسه:

هذا الرجل المهم صاحب السلطة في الدولة ماذا يريد مني؟

-بعد دقائق قليلة وصلوا إلى قصره الكبير والذى يمتلأ بالحراس والشرطة ، فدخل عليه وقد جلس على أريكته وفي يده الجريدة يتصفحها وقد ارتدى نظارة بيضاء وأمامه كوبين من لبن كبير وماء فيه قطع الثلج الصغيرة وهناك من يخدمونه من حوله وينتظرون إشارة منه ليأتوا له بما يريد

فيقفون أمامه ومعهم هشام ، فيشير لهم برأسه، فذهبوا وتركوا هشام بمفرده معه ، فقال له:

اجلس ، فجلس هشام على الكرسي المجاور له وانتظر هشام أن ينطق فلا ينطق وبعد عدة دقائق ترك الجريدة وخلع نظارته ونظر إليه قائلاً:

ماذا تريد أن تشرب؟

فقال له هشام:

بعض الماء أو أي شيء بارد ،فقال له حسام:

أنا أعلم عنك الكثير وأعلم عنك مالا تعرفه عن نفسك ، فنظر إليه هشام في تعجب وقال له:

وماذا في حياتي حتى تعلمه؟

فأمسك حسام بسيجارته الغليظة وقال:

أعلم أنك كنت في يوم من الأيام في ملجأ ثم دخلت إصلاحية وبعدها في سجن لمدة أربع سنوات فقال له هشام وهو يقاطعه:

يكفي هذا يا حسام باشا، ماذا تريد مني؟

فقال له حسام:

لقد فعلت كل الذي فعلته بعلم منا وبمباركتنا وكان رشاد الشوربجي هو الذي كان يتولى الأوامر ويعطيها لكم، أما الآن فالأمر مختلف تماماً، فالمهمة التي نريدها منكم هذه المرة ليست بالهينة عليك ، فقال له هشام:

وما هي هذه المهمة إذن؟

فقال له حسام:

ستقتل هذه المرة دعاء بنت رشاد الشوربجي ، فقام هشام على الفور وغضب واحمر وجهه وقال:

ولماذا هذه البنت بالأخص دون غيرها؟

وماذا جنت من شر حتى نقتلها؟

فقال له حسام بعدما نظر نحو رجاله:

هذه البنت تتعقب خطانا وتعرف عنا الكثير واقتربت من وصولها لنا بما تملكه من نفوذ وعلاقات فقال له هشام:

وهل رشاد الشوربجي يعرف أنكم ستقتلون ابنته؟

فقال له حسام:

لا يعرف وإذا اعترض فسنقتله أيضاً، فقال له هشام:

وإذا لم أوافق على هذا؟

فقام حسام وقال في غضب:

ستدخل السجن أو تموت بطلقة نارية أو ضربة بسكين أو بأبشع من ذلك ،فقال له هشام في صوت هادئ وقد تحكم في غضبه:

دعني أفكر ، فقال له حسام:

أنا أذكرك فأكثر من ثلاثة أيام ستجد ما يحزنك ولا يسرك ، ثم نظر إلى هشام وقال له:

تفضل إذا أردت الانصراف ، فقام هشام ثم انصرف، وهو في قمة الغضب واستقل سيارته ومضى مع هؤلاء الرجال إلى منزله وسرعان ما يصل إلى المنزل ولم يسترح حتى اتصل بدعاء على الفور وقال لها هل أنت بخير؟

فقالت له دعاء:

نعم بخير وفي أتم صحة ، ولكن لماذا تسأل هكذا بلهفة؟

فقال لها هشام:

لا ؛ بل أطمئن فقط على حالك، وأنت عليكِ ألا تخرجي هنا أو هناك حتى أذهب إليك ،فقالت له دعاء:

قل لي ماذا حدث؟

فقال لها هشام:

حين أعود سوف أشرح لك كل شيء ،فقالت له دعاء في هدوء:

وهو كذلك، هيا أنا أنتظرك ، ثم أغلق الهاتف وقبل أن يذهب اتصل برجاله وقال لهم:

أنا منتظركم الآن تعالوا.

أرادت دعاء أن تدخل على أبيها في مكتبه فإذا بها تسمع صياحه من خلف الباب في الهاتف وهو يكلم أحد الناس قائلاً له:

وماذا أفعل أكثر من ذلك؟

لقد أتيت لكم بأربع أطفال وقتلت لكم هذا الرجل الذي كنتم تخافون من صرصرته فلماذا أنتم غاضبون مني؟

فلم تسمع دعاء أكثر من ذلك ولم تخبره بما سمعته منه وانصرفت إلى غرفتها وأغلقت بابها عليها وأخذت تبكي وهي تقول: هل أبي يفعل ذلك؟

هل أبي يخطف الأطفال ويقتل ويفعل كل هذه الجرائم، ولكنها تمالكت نفسها وخرجت لتجد أن هذا الأب المجرم قد خرج فدخلت غرفته لتبحث عن أي سند أو ورق يدلها على أي شيء وفعلاً بحثت فوجدت تسجيلات وأوراق وصور بها بعض أشخاص لهم مكانتهم في الدولة ، فتفاجئت بذلك وحصلت على كل هذه الأشياء واتصلت بهشام وأخبرته أنها قادمة إليه ثم ذهبت دعاء مسرعة نحوه بينما هشام يجتمع برجاله وأخبرهم بما يُكاد له ولهم وأنهم أصبحوا بلا غطاء وأن هناك من كشف هويتهم وعرف من نحن وكيف كنا ونريد أن نتخلص منه قبل أن يصل إلينا ، ثم أعطاهم عنوان هذا الرجل الذي كان عنده منذ قليل وكل بيناته وتركوه وانصرفوا ثم أتت إليه دعاء ، فدخلت عليه وهي مهمومة وتبكي لما وجدته مع أبيها، فلما رءاها ، اقترب منها وقال لها:

ماذا حدث؟

فقالت إن أبي ومعه بعض الناس الذين لهم قيمة في بلدنا خلف خطف الأطفال والقتل وغير ذلك ، فقال لها هشام:

وماذا حدث حتي تقولي ذلك؟

فأخرجت ما معها من ورق وشرائط وصور تدل على تورطهم في هذه القضايا ،وقالت:

وأنا قد جمعت بعض أسماء المجرمين وهكذا اكتملت عندي كل الأدلة لإدانتهم ، فقال لها هشام:

أنا أريدك أن تبتعدي عن كل هذا وأن تختبئي بضعة أسابيع حتى تهدأ الأمور فأنا قد علمت أن حياتك في خطر ،فقالت له دعاء:

أنا لن أختبئ ولن أتقهقر وسأقدم ما لدي للنائب العام ، فقال لها هشام

لن تصلِ إليه وستموتين قبل أن تخطو قدمك داخل مكتبه ، فقالت له دعاء:

ومن أخبرك أنهم يريدون قتلي؟

هل أبي هو من أخبرك فأنت تعمل معه دوماً وتعرف عنه الكثير، أم من الذي أخبرك؟ فقال لها هشام وهو يهرب بعينيه منها:

هذا ما علمته وليس عندي الآن أي كلام ولولا حبي لك ما قلت لك هذا ولما كنت الآن حية ، فقالت له دعاء وهي لا تعره أي اهتمامٍ:

أنا ذاهبة الآن ولن أخشى أحداً ، فقال لها هشام :

أنا سأمنعك فحياتك ليست ملكك وحدك فأنا أحبك وألقي بنفسي وروحي بين يديك رخيصة ،فقالت له دعاء:

وماذا عن الجرائم التي كنت تفعلها مع أبي وغيره؟

وإلا فما سر اختلاطك بهؤلاء وما حقيقة شخصك هل أنت خاطف أطفال؟ أم قاتل مأجورٍ؟

أم أنت تخدم هؤلاء السادة والكبار؟

،فقال لها هشام:

سأقص عليك كل حياتي ولك أن تحكمي علي وأحب أن أعرفك أنك غيرت حياتي وأصبح قلبي كباقي البشر بعدما كنت كالذئاب ولا يتحرك قلبي قيد أنملة وكنت لا أراعي أي مشاعر

أو تدمع عيني، فقد صارت كل جوارحي تعمل ودموعي تنهمر وشغلت عقلي وقلبي، فقالت له دعاء وهي لا تبالي بحديثه:

أنا كل تفكيري الآن في قضية الأطفال وكيف أعاقب هؤلاء الطغاة ، فقال لها هشام:

سأقول لك شيئاً:

لو أنني أتيت لك برقاب هؤلاء الطغاة أترضين عني؟

فقالت له دعاء:

نحن لسنا في غابة فالقانون هو سيد البلد ، فأنا أريد معاقبتهم بالقانون وليس إلا ، فقال لها هشام:

لو أنا تركتك وشأنك ستموتين على يد هؤلاء الأوغاد، فقالت له دعاء وهي تهم بالذهاب:

إذاً فالقتل أشرف لي من أي اختيار آخر ،فقال لها هشام:

هذا آخر كلام لك؟

فقالت له دعاء:

نعم وليس لدي أي كلام غيره ،فقال لها هشام:

دعيني أرافقك حتى لا تكونين بمفردك فتخطفك الكلاب ،فنظرت له دعاء وهي تفكر بسرعة:

وهو كذلك هيا ننطلق، وبينما هما يتحركان للنائب العام بعث هذا الرجل الذي توعد هشام بالقتل في طلب عصام البربري ليتناقش معه بخصوص ما ينويه من مكر وكيد، فذهب رجال هذا الرجل لعصام وهو في منزله وقد خلد للنوم بعض الوقت فقرعوا جرس الباب لعدة مرات، فأيقظته زوجته من نومه، فأسرع نحو جهاز الكاميرات، فنظر فيها فوجد أربعة رجال يرتدي كل واحد منهم بذة سوداء وملابس أنيقة، فقال في نفسه:

من هؤلاء؟

وماذا يريدون مني؟

وما زالوا يقرعون الجرس بشدة وعصام قد أخذ سلاحه ووضع به عدة طلقات وتأهب لهم، ثم خرج وقال لهم:

من أنتم؟ وماذا تريدون؟

فنظر أحدهم له بعينيه الحادتين وقال له:

حسام باشا يريدك، فنظر له عصام في تعجب وقال له:

أتقصد حسام... ؟ فقال له:

نعم هو، هيا اركب معنا وسنعيدك ثانية لنفس المكان، فقال لهم عصام هيا، فركبوا جميعاً وانصرفوا، وبعد دقائق وصلوا إلى هناك حيث المكان الكبير والحرس الكثير والأبهة العالية، فتقدم عصام البربري نحو هذا الرجل وصافحه، وطلب له هذا الرجل الشراب، وبدأ يمهد لما يريد فقال له:

يا عصام نحن نعلم عن عصابتكم كل شيء وعن كبيركم رشاد وشريكك هشام حالياً وحمدان الذئب سابقاً، ثم نظر من خلف النظارة وقال له:

أنا لا أريد أن أشرح التفاصيل فأنت فطن وتفهم ما أريد وقد رأيت ما نحن فيه من قوة وسيطرة على الأمور ، فلم ينطق عصام بكلمة سوى أنه قال له:

وماذا تريد بالضبط، فأنا لا أفهم لماذا جئتم بي إلى هنا ولا ماذا تريدون؟

فقال له حسام:

أريدك أن تتخلص من الذئب فقد أصبح خطراً علينا، فمنذ أن أحب دعاء بنت رشاد وقد انقلبت موازينه وتغيرت حياته،

وسوف يلقي بكم في الهاوية لأنه تعلق بامرأة، ومن تعلق قلبه بامرأة أفسد كل شيء، فقال له عصام وقد نوى في داخله أن يبتلع منه ما يريد من كلام ثم بعدما يذهب ويقرر ما يجب فعله في مثل هذا الأمر:

أنا معك أنه تغير ولم يعد كالسابق ولا يأتي لنا بمنفعة منذ زمن، وأخذ يتسكع مع بنت رشاد هذه مما جعله يعطل مصالحنا وما شيدناه بدمائنا، فلقد تعبنا حتى وصلنا لما نحن فيه الآن ،فقال له حسام:

سنجعلك تحل مكانه ونمنحك أفضل اسم ومركز وما تريد من مال ، فقال له عصام:

أتريد قتله فقط؟ أم تريد شيئاً آخر؟

فابتسم حسام وقال له:

ليس قتله هو فقط بل ومعه رشاد وابنته دعاء ، فقال له عصام وقد أخرج سيجارة من جعبته ثم أشعلها:

لك أن تقول أن ذلك قد تم وانتهى ، فلا تفكر في ذلك بعد ، ثم أنهى عصام حديثه معه، ووقف وهو يتطاير الدخان من خياشيمه وفمه ثم قال لحسام:

أستأذنك لأذهب الآن، فنظر حسام لرجاله وقال لهم:

هيا أوصلوه لنفس المكان الذي أخذتموه منه، فذهب عصام ومعه هؤلاء الرجال نحو منزله، وسرعان ما وصل ونزل من سيارتهم ليدخل منزله، وبعدما تأكد من ذهابهم وأنهم رحلوا، أخرج هاتفه واتصل بحمدان ليخبره بما حدث معه، فرد عليه حمدان وقال له:

ماذا يا عصام....!

هل هناك ما يحدث أماذا حدث؟

فقال له عصام:

بعدما تنتهي مما تفعله فتعالى في المكان القديم الذي كنا نتقابل فيه في السابق، فقال له حمدان:

وهو كذلك،

توصل الضابط محمد لحمدان للذئب وعلم أنه هو الجاني ومعه بعض الشركاء، وأنه هو نفس الشخصية التي تدعى هشام.

الفصل السابع

-ذهب الضابط محمد للنائب العام هناك ومعه عبير فتقابل على دعاء ومعها حمدان ولكنهم لم يعرفوا بعضهم، ولكنه قد توافرت للنائب العام عدة أدلة وعدة مصادر قد جعلته يستدعي وزير الداخلية ومساعده ومدير الأمن العام ومدير مديرية القاهرة لبحث هذا البلاغ، ثم ذهب عصام على الفور للذئب وأبلغه بما حدث وقد ابتعدت دعاء عن أبيها وقد أسكنها الذئب مكاناً لا يفكر فيه هؤلاء الظلمة، وأخذ يبحث عنها والدها ويسأل هنا وهناك ولكن لا يعرف عنها أي شيء ويتوعد ويزأر ويغضب ولكنه لم يعد من أهل الدنيا ، فقد استعان حسام باشا ببديل آخر وبسفاح يدعى أبو الليل ، وبينما يتحرك بسيارته باحثاً عن ابنته دعاء وقد فقد عقله وبدأ يتصرف كالأهوج، فقاد سيارته بمفرده دون حرص أو خوف فقد شغله اختفاء ابنته الوحيدة ، فكم من أمهات أثكلهن وكم من نساء أرملهن وكم من أطفال جعلهم أيتام؛ وكم آمنٍ أدخل عليه الهلع والخوف والرعب ، فكما تدين تدان ، فكما فعل هذا الرجل بالناس كثيراً جاء موعد القصاص وموعد

الانتقام والحسرة في الدنيا قبل الآخرة ، فقابلته سيارة كبيرة وهو يمشي مسرعاً بسيارته فأغلقت عليه الطريق وأتت سيارة أخرى خلفه وخرج الكثير من الرجال الذين يحملون الأسلحة الكثيرة فأحاطوا به وأمطروا عليه وابلاً من الرصاصات حتى تركوه وقد تغربل وغرق في دمائه الملوثة الخبيثة وقد نال اللعنة وسوء المصير وصحبته اللعنة في الدنيا والآخرة –علمت دعاء بما حدث فجاءت وقد تجمع حوله عشرات الضباط والجنود والسيارات وانتشر خبر موته في الأرجاء ، واغتمت دعاء لا لموته ولكن لأنه مات على القتل والخطف ولا سيما بيع أعضاء الأطفال ؛ وعلم الذئب بموت رشاد فذهب لدعاء وحذرها من مغبة عنادها فقد شاهدت مصرع أبيها فأطاعت كلامه ودخلت منزله ولأول مرة اقترب منها حمدان واقترب منها أكثر فأكثر وارتمت في أحضانه لتجد منه الحضن الدافئ والمشاعر الفياضة، فخر على صدرها باكياً ، فتعجبت دعاء لذلك وقالت له:

ماذا حدث؟

كنت أظنك بلا قلب أو مشاعر فضمته أكثر وقبلت خده وهو يقول لها:

لم أجد هذا الحضن الدافئ منذ صغري حتى مع أمي التي أنجبتني، فأنا رضعت القسوة والبغض وتربيت على الغلظة فكم بكيت في صغري وكم أوذيت وضربت وعانيت ، فلم تنزل دموعي أبداً من قبل، ولم أفرق بين الشر والخير إلا بعدما وجدتك ، فشدها هذا إليه أكثر مما كانت وضمها حمدان وأخذ يقبلها وقبل أن يضاجعها إذا بالهاتف يدق ، فأسرع حمدان ليجيبه ، فقال من؟

فإذا بعصام يحذره من أنهم وصلوا إليهما وعليه بأن يترك المكان ، فأسرع حمدان وأخذ دعاء وترك المكان ومضى إلى وكره القديم حيث رفاقه ورجاله ، فدخل إلى هناك وترك دعاء في هذا الوكر مع بعض الرجال واتفق مع رفقائه أن يتفرغوا من الآن وصاعداً للقضاء على هؤلاء السادة الكبار واحداً تلو الآخر ، وجمع صورهم وأسمائهم وكل ما يخصهم، وأعد لهم خطة محكمة وقد أحصاهم فإذا هم ثلاثة رجال ومن معهم فهم الثلاثة خلف كل القتل والخطف وبيع الأطفال، وبعدما كان حمدان وعصابته يقتلون الأبرياء ويخطفون الأطفال ويفعلون كل ما هو منكر وحرام فقد وظف حمدان كل ماله للقضاء على الفاسدين وأخذ ينفق على رجاله ببزخ وإسراف حتى لا

يستغلهم أي أحد من هؤلاء الطغاة وقد أكثر من عدد رجاله واختار أقوى الرجال وأمهرهم وأكثرهم احترافاً في القتل بالسلاح ، وقد علمت ذلك دعاء فلم تمانع، بل سّرُت لذلك وقضى حمدان نهاره معها أما ليله فجعله للانتقام ولمحو هؤلاء الطغاة ، وذهب الضابط محمد ومعه الضابط خالد صاحب القسم الذي قتل بسببه مأمون فذهبا لوكر حمدان ومن معه من رجال ومنع رجال حمدان الضابط محمد وخالد من الدخول ولكنهما قالا للذين يقفون على باب الوكر أبلغا حمدان أننا صديقاه ونعرفه منذ زمن بعيد، فذهبوا ينادونه، وبعد قليل أتي حمدان لينظر من بالباب فيعرفانه ، ولكنه لا يعرفهما ولم يشاهدهما من قبل ، فصافحهما وهم ينظرون في عيون بعضهم بترقب ومن حولهم من الرجال على أهبة الاستعداد لأي رد فعل ، ولكن الضابط محمد عاجله قائلاً:

أنا النقيب محمد وهذا الرائد خالد وقبل أن تعرف لماذا نحن هنا فلتسمح لنا بالجلوس ، فقال لهما حمدان:

هيا اجلسا هنا ، تعالا ، فجلسا معاً وبدأ الضابط محمد الحوار وقال له أحب أن أعرفك يا حمدان أننا عرفنا عنك وعن كل ما يحدث ما لا تتخيله ونحن في مركب واحد فسنغفر لك ما

مضى، فلقد تسببت لنا في مشاكل عدة ونقلنا بسببك إلى أسيوط، وذقنا الأمرين بسبب جرائمك وظلمك فلقد ظلمت الكثير من الناس، ولقد جاء اليوم الذي ستكفر فيه عما فعلت، ثم قال الضابط خالد:

وها نحن كلنا في مركب واحد وسنحارب هؤلاء الكبار الأوغاد معاً

فقال حمدان :

أنا لم أفهم شيئاً ولم أعرف ما هو المطلوب مني الآن؟

فقال له الضابط محمد:

نحن في حرب مع هؤلاء الطغاة وهدفنا واحد ، ثم قاطعه الضابط خالد وقال له:

سنعمل نحن وأنتم في ميدان واحد ، ثم قاطعه الضابط محمد وقال:

سنبيد هؤلاء بالقوة وبكل وسيلة ممكنة لأننا فشلنا معهم بالقانون ولم يبق لنا إلا قوة السلاح والذراع ، فقال لهما حمدان:

أفهم من ذلك أنكم معنا في كل شيء؟

فقال له الضابط خالد:

نعم ومن الآن اتفقنا؟

فقال لهما حمدان:

على بركة الله ، فجهز الضابط محمد وخالد معهم طريقة الوصول إلى هؤلاء وغزو قصورهم دون أن يموت أي فرد من أفراد الشرطة هناك، فذهبوا ليلاً إلى قصر "حسام "وقد اتصل الرائد خالد بالضابط المسؤول هناك لينصرف بما عنده من شرطة في هذا المكان بتنسيق بينهم وبالفعل سحب الضابط المسؤول الجنود والشرطة المتواجدة هناك واقتحم الضابطان ومعهما حمدان ورجاله هذا القصر واصطادوا رجاله فرداً، فرداً ولم يبقى من رجاله أي أحد ثم صعدوا إلى أعلى في القصر وقتلوا كل من تصدى لهم حتى وصلوا إلى غرفة حسام وفتحوا عليه الباب ليجدوه يضاجع امرأة في فراشه فتركوها تمضي، ثم نظر حمدان وعصام إلى بعضهما وقد كشفا عن وجههما وقال له عصام:

كنت تريد مني أن أغدر بصديقي ورفيقي فها نحن معاً ، وقال له حمدان:

وهذا جزاء خيانتك لنا فالحكم عليك بالموت أقل ما تستحق فصرخ الضابط محمد وقال:

انتظرا ، نريد منه أن يخبرنا لمن كان يعطي الأطفال؟

فاقترب منه الضابط محمد وأمسك بكتفه وقال له:

لو لم تتكلم سأجعلك تموت ببطيء وتتمني الموت ولن تجده فقال:

سأقول لكم:

إن الذي يأخذ منا الأطفال رجل يدعى غبريال من إسرائيل وهو يسكن في هذا العنوان ، وأشار إلى القلم والورقة ليكتب ، ولما انتهي من كتابته قال له حمدان:

هل لديك ما تقوله أو ما تطلبه؟

فقال له حسام وهو يرتعد والموت قد بدا على جبينه القذر:

لا ، هيا اقتلني هيا فأنا أستحق ، وإذا بطلقات الرصاص تنهمر على جسده كالمطر حتى تركوه غريقاً في دمائه القذرة ، فكم أهدر دماءً واستحل الحرمات وشرد الأطفال ، فليذهب إلى الجحيم فترك الجميع ذلك المكان وذهبوا ليأتي هذا الضابط الذي كان يتولى حراسة ذلك المسؤول القذر ليفتعلوا أنه تم

مواجهة بينهم وبين جماعة إرهابية وقد قتلوا من قتلوا وفروا بعد ذلك دون أن يقتل منهم أحداً، وزلزل موته أرجاء مصر وانتشر الخبر في كل الجرائد وشاشات التلفاز واهتزت وزارة الداخلية لمصرعه وارتعد رجاله الذين ينفذون ما يريد والذين يعملون معه في هذه الجرائم مع علو مكانتهم في البلد ورفعتهم بين المسؤولين إلا إنهم أصبحوا في رعب وقلق وأخذوا يحتاطون لذلك ، وزرعت الشرطة أفرادها بجوارهم وعلى مشارف قصورهم الشاهقة التي يكسوها الظلم والقهر واستعباد الناس وعدم التفكير في الفقير أو المحتاج أو الأرملة أو المطلقة أو الأيتام وما يعانيه كل هؤلاء من فقر وحاجة ومرض وضعف ، وكيف يشعرون أو يبصرون آهات وبكاء ونحيب هؤلاء الناس؟

فكم من فقير لا يعرفه أي أحد وكم من رجل سجين بسبب ديونه وكم من امرأة بسبب زواج بنتها قضت من الشهور الكثيرة في السجن لأنها لم تسدد دينها وكم من عاجز لا يستطيع العمل ولا الحركة ويعول أسرة كاملة ويتجرع الذل مراراً ولا يسمع ذلك ولا يراهم هؤلاء الطغاة بينما يرتع في النعيم حفنة من الأغنياء والسادة الكبار في البلد ويتمرغون

في خير البلد ، ولا يكفهم ذلك إنما ينهبون ثرواتها وخيراتها، ويقتلون أبنائها بالسرطانات والأوبئة القاتلة وبجلب الطعام المسرطن والذي يفعمه المرض من فيروسات وغير ذلك من الحرب البيولوجية التي يحاربنا بها أعدائنا، ولكن بأيدي سادتنا ومن يملكون رغيف الخبز وحبة القمح وجرعة الدواء، فذهب حمدان إلى دعاء وبشرها بما حدث ففرحت لذلك ثم قال لها حمدان:

لقد أوشكنا أن نقضي على من يلاحقوننا ويفسدون في أرضنا، فقالت له دعاء وهي مقتضبة الجبين:

لن تطهر هذه البلد من مثل هؤلاء الطغاة أبداً فيذهب هذا ويأتي غيره ويموت هذا ويولد أقذر منه ،فقال لها حمدان:

إن شاء الله بعدما ننهي هذا نسافر خارج البلد ونتزوج ، فقالت له دعاء وهي غاضبة:

لا لن أترك بلدي من أجل شرذمة قليلون ، فقال لها حمدان:

أنا لن أقدر أن أمكث هنا بعد ذلك فسأدخل السجن أو أعدم شنقاً ، ولم ينهي كلامه واتصل بهم هاتفياً الضابط محمد وأخبرهما أنه في طريقه للمنزل ، فأخبره حمدان أنه في

انتظاره ، وبعد قليل وصل إلى منزلهم ، وأكد على حمدان أن يهدأ ولا يفعل شيئاً هذه الأيام حتى تهدأ الأمور وقال له:

اطمئن، فقد محونا كل ما يدينك أو يجعلك تحت طائلة القانون فسر حمدان لذلك وسمعته دعاء فقالت له:

ها قد جاء الفرج ولن تذهب بعيداً عن هنا ،فقال لها الضابط محمد:

ولكن علينا أن نمحو أولاً ما بقي من الأشرار من أرضنا أولاً فهم مصدر اللعنة والدمار في البلد ويستأذن محمد ليخرج فقد اصطحب معه عبير لمّا أصرت أن تذهب معه وقد تركها في السيارة فخرج ليجد عبير ليست في السيارة فنادى هنا وهناك وخرج على صوته حمدان ودعاء ومن معهم من الرجال فبحثوا عنها فلم يجدونها واستقل الضابط محمد سيارته مسرعاً ليلحق بها وذهب حمدان في الاتجاه المعاكس وبحث رجاله حول المكان ولكن دون جدوى فقد بحثوا لأكثر من ساعتين ولما استيأسوا رجعوا إلى نفس المكان ، واتصل أحدهم عبر الهاتف فأجابه حمدان:

من المتصل؟

فقال له:

عبير في حوزتنا وإذا أردتم أن تحصلوا عليها فتعالوا في هذا المكان ولكن لا تزيدوا عن رجلين ،فقال له حمدان:

وهو كذلك، وسمع الضابط محمد ما قد دار بينهما فقال له:

أنا من سيذهب معك ، هيا بنا ، فقال له حمدان:

ليس هكذا لابد أن نجهز أنفسنا ونعد لهم العدة من رجال وخطة سليمة حتى لا نقع في شراكهم فقال الضابط محمد:

سأتصل بخالد وأنت هيا اتخذ اللازم لذلك، وبعد دقائق أتى خالد وقد أعد حمدان العدة وذهبا إلى المكان الذين حددوه لهم وبعدما وصلا إلى هناك في مكان بين الزروع والنخيل ولكنه خالٍ من الناس ومن أي كائن حيٍ ، فوقفا بالسيارة في المكان المحدد، فخرجا لهم وهما ينظران حولهما وإذا بعدة سيارات تأتي من كل مكان وينزل من في السيارات بأسلحة نارية وقد وجهت نحوهما وينزل من سيارة سوداء باهظة الثمن هذا الرجل فهما يعرفانه ، فهو ذلك الرجل الذي يريدون قتله ، فتقدم نحوهما ونظر إليهما وقال:

ها قد أتيت بكما بكل سهولة والآن سوف أقتلكما وأقتل من بقي منكم ، فقال له الضابط محمد:

لا إنه يوم قتلك أنت وسيبقى الرجل الآخر من بقي لنا ونكون قد استرحنا منكم جميعاً ،ثم قال حمدان:

انظر فوقك على المنازل البعيدة هذه سترى رجالنا ومعهم "الكلاشنكوف" فهو يأتي بالرصاصة من أول مرة في الرأس ومعنا رجالنا المدربون الذين لا يخطئون رمية، فهم أمهر قناصة لدينا، وأخرج الضابط محمد من جعبته المسدس واللاسلكي وأشار بمسدسه نحوه وتكلم في جهاز اللاسلكي لخالد ، وقال له إذا تحرك أحدهم فاقتله وأمسك بهذا الرجل وقال له إذا لم تدلنا على عبير فسأفجر رأسك وقل لرجالك أن يلقوا أسلحتهم ، فقال لهم هذا الرجل:

افعلوا ما طلب منكم وليذهب أحدكم ويأتي بها ، وبينما هم يضعون أسلحتهم إذا بأحدهم يحاول أن يطلق النار فيصاب برصاصة في رأسه وتنهمر الرصاصات على كل واحد منهم ليخروا جميعاً صرعى ويمسك حمدان بهذا الرجل ثم قال له:

أين هي إن لم تخبرنا ستكون نهايتك هنا ، فقال له:

إنها في هذه الدار الخربة ، فأخذه حمدان ومحمد والرجال خلفهم للدار واقتحموا الدار وقتلوا من فيها وأخرجوا عبير من محبسها إلى الخارج ونظر محمد إلى هذا القذر وقال له:

قل لي ما هو آخر ما تتمناه من الدنيا؟

فقال الرجل بصوت متهدج:

اتركوني وأفعل لكم ما تريدونه وأحقق لكم ما تريدونه من مال وسلطة ،فقال له حمدان:

أنت ميت يا هذا ، عليك بالشهادة ولو لمرة في حياتك هيا ، وقبل أن ينهي الشهادة إذا بحمدان يطلق عليه أكثر من عشرة رصاصات في جسده ، وأخذوا عبير ومضوا جميعاً وعبير مع الرجال إلى ثكناتهم ، وهز الخبر كل البلد مما أثار الرأي العام وامتلأت مصر بالشرطة في كل مكان وتفتيش لكل المارة في الطرقات بالسيارات وغير السيارات وقبض على الكثير من أصحاب السوابق الجنائية والمشتبه بهم من أرباب السجون ، وسجن من ليس له أي ذنب وأثار الإعلام وكبار البلد أن ما يحدث هو إرهاب، وتطرف، والجماعات الإسلامية من يفعلون ذلك ، مما دفع أمن الدولة في القبض على

الجماعات الإسلامية واعتقالهم وقتلهم وإعدامهم، ومنهم من يفعل معه هذا الظلم دون وجه حق وما كان ذنبه إلا أن قال:

ربنا الله ، ويعم الظلم أكثر وأكثر في الدولة مما مهد لحمدان والضابط محمد وخالد أن يقضوا على الرجل الثالث وبهذا تهدأ البلد ويقف نزيف الدم الذي أفعم المكان كله.

الفصل الثامن

-اجتمع الضابط محمد وخالد ومعهم حمدان وعبير ودعاء في منزل حمدان وبعد برهة من الوقت تكلم الضابط محمد وهو ينظر لعبير وحمدان فقال لعبير:

سأخبرك بشيء ولكن عليك تقبله بصدر رحب وننسى الماضي ، اتفقنا، فقالت له عبير:

وما هو هذا الشيء؟

فقال لها محمد:

لقد تحدثنا يوماً ما عن خالك أتذكرين؟

قالت نعم ، تحدثنا عنه وعن ما حدث له في الصغر وكيف ظلم من إخوته ،فقال لها محمد:

وما كان اسمه؟

فقالت له عبير:

كان اسمه حمدان ونظرت لحمدان وهي تنطق الاسم فدمعت عيني حمدان ، وقال لها محمد:

هذا هو خالك حمدان الذي أنقذك من الخطف وهو نفسه من حارب الظالمين وإن كان له بعض الأخطاء ولكنه تغير للأحسن ، فوقفت عبير وصرخت قائلة:

ولكنه قتل إخوته دسوقي وعباس وقتل أولادهم وقتل زوجة دسوقي ، لقد ذقنا بسببه الأمرين وعشنا في كدر وحزن لعدة شهور ،فقال لها الضابط محمد:

ولكنه يا عبير ذاق أكثر مما ذاقوا، فإن كان قد قتل فقد قُتل هو مرات ومرات منذ أن ألقي به في الملجأ ثم الإصلاحية ثم السجن وما ذاق في هذه الأماكن القذرة تجعله أشرس من الذئب ياعبير، فلقد ألقوا به في غياهب السجون والشوارع دون رحمة أو تتبع له ولحاله ، فإن كان قد قتلهم فقد قتلوه أولاً ، فصمتت عبير ولم يتكلم حمدان وكان قد وضع وجهه في الأرض خجلاً مما يقال ومما حدث وهو يبكي ولم يتمالك نفسه فخرج إلي خارج المكان وهو يبكي بكاءً حارّا ٍ ولم تدعها دعاء تشاهد خالها هكذا فأخذت بيدها وذهبا خلفه لتسكته فوضعت عبير رأسها على ظهره وهو يبكي ومسحت على رأسه ،فنظر إليها وضمها له ودموعه تنهمر بلا توقف وقال لها:

سامحيني يا ابنة أختي وقولي لأمك أن تسامحني فلن أستطع أن أراها حتي تسامحني ، ووضع يده على وجنتيها وقال لها:

أنا لم أكن في وعيي وقتها ولم يكن لي أي عقل أو سمع أو بصر ، فوقف محمد وخالد وأخذوا يجلسونه بجانبهم وقال له خالد:

هون عليك وعفا الله عما سلف وسنأتي لك بأختك لتروا بعضكما أما الآن فبقي لنا هذا الرجل الأخير الذي يدعى خيرت، فمنصبه كوزير يجعله من الصعب أن نصل إليه ولكن هيا نرسم له خطة وكيف الوصول إليه وقتله ، ويجتمع وزير الداخلية والأمن العام وغيرهم من القوات التنفيذية ليقبضوا على من يفعلون ذلك ولكنهم لم يتوصلوا للمنفذ الحقيقي ولكنهم ألصقوها للجماعات الإسلامية ، وبعد ثلاثة أيام ينفذون خطتهم فيجهز حمدان وخالد ومحمد من معهم من رجال وأسلحة ويحاول خالد أن يتفاهم مع حرس الوزير ليتركوا قصره حتى يصلوا إليه ولكنه يفشل في ذلك ، فقال لمحمد وحمدان:

لو هاجمنا قصره فسنقتل الأبرياء من أفراد الشرطة ، فماذا نفعل إذاً في هذه المشكلة؟

فقال حمدان :

علينا بقتله وهو يسير بسيارته حتى لا نقتل غيره، فأعجب الكل برأيه وشرعوا في تنفيذ ذلك، فيراقب حمدان والضابطان ورجالهم كل تحركات هذا الرجل وسكناته حتى إذا خرج في ليلة من الليالي إلي منزل راقصة من الراقصات وقد اشترى لها منزلاً كبيراً لها ، ولا يعرف ذلك إلا رجاله فقط وإذا ذهب لا يأخذ معه أفراد الشرطة ولا الحرس الخاص المعين له ، فيذهب هو ورجاله ليقضي سهرته هناك ويبرم ما يبرمه هناك من صفقات السوء من خطف وقتل واغتيال لأشخاص مرموقة وإثارة الفتنة في مصر ، وفي الساعة الثالثة ليلاً أحاط حمدان برجاله المكان ودخل حمدان ورفاقه ومعهم الضابط محمد وخالد إلى الداخل بعدما قتلوا الرجال الذين في الخارج دون صوت يسمع ودخلوا إلى داخل المنزل بينما هو ينام في أحضان الراقصة وبعض الرجال يلهون ويلعبون القمار في باحة المنزل ولم يبصروا إلا وهم صرعى ثم فتح حمدان باب غرفته ولم يشعر بدخولهم إلا وحمدان والضابط خالد ومحمد فوق رأسه هو والراقصة فأخذ الرجال تلك الراقصة ووضعوا اللثام على وجهها وأخذوها إلى الخارج

ليقيدوها وقد وضعوا العصابة على عينيها وأيقظه حمدان بكعب السلاح لأن الخمر أسكرته فلا يستيقظ بسهولة وخاصة وأنه كان مستيقظاً إلى هذه الساعة المتأخرة من الليل ، فاستيقظ فزعاً وهو يقول لهم بكل ثقة:

من أنتم؟

ماذا حدث؟

فضربه محمد بمؤخرة السلاح في صدره وقال له:

هيا قم لا تثرثر بالكلام الكثير وجذبه حمدان وهو شبه عارٍ وقال له خالد:

هيا قل لنا هل ترغب في أي شيء قبل موتك؟

فقال لهم:

وماذا فعلت حتى تقتلونني؟ ماذا تريدون؟

فلو أردتم أي شيء فسأفعله لكم ، فقال له محمد:

معنى ذلك أنك لا تريد منا أي شيء، إذن فهيا انطق الشهادة فكم من ظلم فعلته وكم من جور وتخريب وتشريد فعلته بالناس ، ثم وجه حمدان نحوه السلاح وأطلق عليه رصاصة

في رأسه ومضوا ، وتخلص الضابط محمد وخالد ومعهم حمدان برجالهم من هؤلاء الطغاة ،وهدأت البلاد نوعاً ما واستقرت الأمور ثم قابل حمدان اخته أم عبير وتزوج حمدان من دعاء وتزوج الضابط محمد من عبير ، وأصبح الضابط محمد وخالد في الأمن العام وجعلا بعلاقتهما القوية حمدان من أعضاء البرلمان وبعدها أصبح وزيراً ، وهما أيضاً وصلا لأعلى منزلة في البلد وصارا جهة سيادية في قصر الجمهورية وأتت الانتخابات الرئاسية وترشح حمدان للرئاسة وبعد جهد وعنت وصل حمدان للرئاسة وحاول تطبيق العدل والمساوة والكرامة لكل من في البلد ولكنه واجه تحديات كبيرة وحرب شرسة أخذ يحاربها بكل الطرق ومعه رجاله وبعض الناس الأوفياء وأغلب الشعب من الفقراء والضعفاء ولكنهم كادوا له وأثاروا عليه الداخل والخارج، ولولا أنه قطع على نفسه العهد ألا يقتل ولا يظلم وأن يستخدم القانون لسفك دم هؤلاء الناس دون رحمة ولا رأفة، لقتل الكثير ولكنه حاول حمدان أن يستمر ولكنه وجد العناد والعصيان ، وفي يوم من الأيام وفي زيارة له لبلد أوروبية وأثناء رجوعه وهو يستقل الطائرة إذا برصاصة تأتي في

صدره من أحد القتلة المأجورين، وكانت معه دعاء، فارتمت عليه وأخذت تضمه لصدرها ولكن الحرس أخذوه في الإسعاف لعلهم يداوونه وينقذونه، وذهبت معهم دعاء بعدما تعامل الحرس مع الموقف وقتلوا مرتكبي الحادث وفي الإسعاف نظر في عيني دعاء نظرة طويلة وقال لها:

أحبك يا دعاء، فأنت من غيرت حياتي، وجعلتي مني إنساناً، فأخذت تضمه دعاء بين ذراعيها قائلة له:

لا تتكلم، وستكون بخير إن شاء الله، ولكنه لفظ أنفاسه الأخيرة بعدما نطق الشهادة، وفارق الحياة بعدما عاش بين الدماء والأشلاء وبين الدموع والبكاء، والعويل والضياع ، ولكن ما بني على باطل فهو باطل، وما شيد على الماء بعثره الهواء.

-أخذت تنوح دعاء وتبكي لفراقه وقد رحل عن دنيانا بعدما حاول التغيير فلم يفلح في بلد تسرق منذ آلاف السنين ويستعبد أهلها وفي الجوع والفقر والمرض والعبودية يعيشون.

النهاية